



الجمعية التاريخية السعودية

بحوث تاريخية

سلسة محكمة من الدراسات التاريخية والحضارية

رد على أهل الذمة ومن تبعهم

تأليف

شهاب الدين غازي بن أحمد ابن الواسطي

(ت ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)

تحقيق

د. تركي بن فهد آل سعود

قسم التاريخ - جامعة الملك سعود

الرياض

الإصدار ٣٦

شعبان ١٤٣١ هـ / أغسطس ٢٠١٠م



تأليف

شهاب الدين غازي بن أحمد ابن الواسطي

(ت ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)

تحقيق

د. تركي بن فهد آل سعود

قسم التاريخ - جامعة الملك سعود

الرياض

الإصدار ٣٦

شعبان ١٤٣١هـ/ أغسطس ٢٠١٠م

ⓒ الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٣٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
آل سعود ، تركي بن فهد
رد على أهل الذمة ومن تبعهم ./ تركي بن فهد آل سعود - الرياض، ١٤٣٥هـ
ص ١٠٤ ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٣ - ٥ - ٩٠٤٧٣ - ٦٠٣-٩٧٨
١- أهل الذمة أ- العنوان
ديوي ٢٥٦،٩ ١٤٣٥/٥٢٠

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٥٢٠
ردمك:٣ - ٥ - ٩٠٤٧٣ - ٦٠٣-٩٧٨

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير
العنوان: ص.ب: ٢٤٥٦ - الرياض: ١١٤٥١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٧٤٩٨٩ - فاكس: ٤٦٧٤٩٨٩
aajabbar@ksu.edu.sa


بسم الله الرحمن الرحيم



إهــداء

إلى شيخي الذي علمني التحقيق

العلامة الدكتور/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين

أهدي هذا الكتاب

تقديم

يسر هيئة تحرير سلسلة بحوث تاريخية وحضارية أن تقدم إصدارها الأول بعد ترجل فارسها ورئيس تحريرها سعادة الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن صالح الهلابي الذي أمضى عقدا من الزمن تمكن خلالها من تأسيس صرح علمي أفاد منه الكثير من الباحثين والقراء. فقد وضع سمتاً علمياً متميزاً لهذه االسلسة، يقوم على النشر العلمي الرصين والطرح الجديد في الموضوعات، بحيث أصبحت بحوث السلسلة معترفاً بها في المجالس العلمية، ويتزايد الأقبال على إقتنائها ما أدى الى نفاد العديد من إصداراتها، التي بلغت خمسة وثلاثين إصدارا. وبهذه المناسبة نتقدم بجزيل الشكر لأستاذنا الجليل على جهوده المتميزة مع دعواتنا له بالتوفيق والنجاح في حله وترحاله.

أما موضوع هذا الإصدار فهو مخطوط تاريخي، والمخطوطات تشكل جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الأمة الإسلامية والعربية، ما دفع العديد من الباحثين إلى الاهتمام بها ونشرها، وقيام عدد من الهيئات العلمية العربية والعالمية مثل معهد المخطوطات العربية بالقاهرة والمعاهد الفرنسية في كل من القاهرة ودمشق وصنعاء، التي تعني بجمع نصوص التراث، وتيسير تداولها والكشف عن المخبوء منها، وإصدار فهارس لها، وتنسيق عملية تحقيقها ونشرها بشكل علمي دقيق.

إن العمل المقدم للقارئ الكريم هو جهد أحد الباحثين المتميزين الذي يمثل اختياره لتحقيق كتاب ابن الواسطي «الرد على أهل الذمة ومن تبعهم»، تحدياً لا يقتصر على الوفاء بآليات تحقيق المخطوط وما يتطلبه من جهد مضن في التعريف بالمؤلِّف والمؤلَّف والمخطوطة ودوافع التأليف والفترة الزمنية، إضافة إلى ترجمة الأعلام والمصطلحات والمواضع وإرفاق فهارس تسهل على الباحث الرجوع إليها.

ويتمثل الشق الثاني للتحقيق في كشفه اللّثام عن حقبة مهمة من علاقات المسلمين؛ حكاماً ورعية، بأهل الذمة؛ نصارى ويهود. ورغم سلبية وتحامل ابن الواسطي تجاه هذه الفئة، نتيجة استئثارهم بالمناصب العليا في عصره، إلا أنه يقدم وجهة نظر مهمة لأحد مسؤولي الدولة الكبار حول الجهاز الإداري في الدولة والصراع القائم حول تولي هذه المناصب. وهي، كما أشار المحقق، معلومات شخصية مطلعة تسهم في جلاء الكثير من الغموض الذي يكتنف أجهزة الدولة خلال تلك الفترة والذي قصرت المؤلفات التاريخية عن الخوض في تفاصيله.

تمنياتنا للباحث بالتوفيق والنجاح وللقارىء الكريم بالمتعة والمعلومة الجديدة.

رئيس هيئة تحرير

سلسلة بحوث تاريخية وحضارية

أ.د عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار

ملخص البحث

يتنـاول الكتاب قضية عمل أهل الذمة في دواوين الدولة الإسـلامية وتوظيفهم فيها، وكاتبـه موظف كبير تنقّل بين دواوين الدولـة المملوكية المختلفة، ووصل إلى رئاسـة ديوان الإنشـاء في مصر. وتأتي أهمية النص التاريخي، في تصوير حالة أهـل الذمـة في أجهزة الدولـة تصويـرًا دقيقًا قد لا يوجـد في المصـادر التاريخية المعتـادة، التـي كتبها أنـاس بعيدون عما يجـري داخل تلك الدواويـن. ويتناول الكتاب أيضًا الأحداث التاريخية في العصر الذي كتب فيه، من زاوية اهتمام تغاير مصادر التاريخ السياسي.

Abstract

The main subject of this book is the employment of Dhimmis in the Islamic government. The author was a high official in the Mamluk administration which gives the text additional insight. The text approach to the subject; therefore, differs from the usual approach of other historical texts that concentrate on political issues. This is also the case for the historical events mentioned in the text.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فهذا كتاب **(رد على أهل الذمة ومن تبعهم)** لشهاب الدين غازي بن أحمد ابن الواسطي، أحد الكُتَّاب المشهورين في العصر المملوكي. وقد وضع كتابه هذا لإقناع صاحب القرار في الدولة، السلطان الأشرف صلاح الدين خليل ابن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣هـ/ ١٢٩٠-١٢٩٣م)، بمنع استخدام غير المسلمين في دواوين الدولة.

وقد شارك المؤلفَ في مسعاه هذا كثيرٌ من العلماء والكُتَّاب والشعراء في عصور مختلفة، وكانت هذه المطالب تظهر وتبرز كلما تحسَّنت أحوال أهل الذمة، وبلغت حدًّا عاليًا من الثراء والرخاء في وقت انشغلت فيه الدول بالحروب وأرهقت بالضرائب مواطنيها المسلمين. وهو رد فعل طبيعي، خاصة في فترات الحروب، أو فترات اللا سلم واللا حرب.

وتكمن أهمية هذا النص في أن من ألّفه هو أحد كبار موظفي الدولة، الذين غاب صوتهم، أو كاد، عن قضية تمسهم بالدرجة الأولى، وتحدَّث فيها غيرهم بكثرة. إلا أن حديث من ينتمي إلى طبقتهم فيه تمثيل أدق لرؤيتهم للحدث، وفهمهم وتفسيرهم له، لا يمكن أن يُستعاض عنها برؤية غيرهم.

وأودّ هنا أن أشكر كل من أفادني بملاحظاته على مسوّدة التحقيق؛ خاصة أستاذي العلامة الدكتور عبدالرحمن بن سليمان العثيمين. وأشكر كذلك الصديق الدكتور عبدالرحمن بن ناصر السعيد الذي قابل معي النص، وأفادني بملاحظات قيّمة. وأسأل الله التوفيق والسداد.

تركي بن فهد آل سعود
٢٠/ ٣/ ١٤٣٤هـ

التعريف بالمؤلف:

القاضي شهاب الدين غازي بن أحمد ابن الواسطي. ولد بحلب سنة بضع وثلاثين وستمائة[1]، وتوفي بها في الثامن عشر من ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبعمائة (١٣١٢م)، عن عمر يناهز الثمانين عامًا[2].

ولقب القاضي في تلك الفترة، قد يُطلق على الوزراء، وكتاب الإنشاء، ورؤساء الدواوين، ولا يعني أنه كان قاضيًا شرعيًا. قال القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): «على أن كُتّاب الزمان يُطلِقون هذا اللقب [القاضي] والألقاب المتفرّعة منه كالقضائيّ والقاضويّ على أرباب الأقلام في الجملة، سواء كان صاحب اللقب متصديًا لهذه الوظيفة أو غيرها، كسائر العلماء والكُتّاب ومن في معناهم، وعلى ذلك عُرفُ العامَّة أيضًا»[3]. وخير دليل على ذلك، لما وعد السلطان الملك

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** (حيدرآباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٩-١٣٥٠هـ)، ج٣، ص ٢١٤.

(٢) نفسه؛ البرزالي، القاسم بن محمد، **المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي**، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ج٤، ص٦٧؛ المقريزي، أحمد بن علي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وسعيد عبدالفتاح عاشور (مصر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر: مطبعة دار الكتب، ١٣٧٦-١٤٠٣هـ/ ١٩٥٦-١٩٧٣م)، ج١، ق١، ص١٢٢؛ **أعيان العصر وأعوان النصر**، تحقيق: علي أبو زيد وآخرين (بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، ج٤، ص٢٢؛ الصفدي، خليل بن أيبك، **نكت الهميان في نكت العميان**، تحقيق: أحمد زكي بك (مصر: مطبعة الجمالية، ١٩١١م)، ص ٢٢٤؛ ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، تحقيق: محمد محمد أمين ونبيل محمد عبدالعزيز (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٨٤-٢٠٠٣م)، ج٨، ص٣٥٧.

(٣) القلقشندي، أحمد بن علي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت)، ج٥، ص٤٥١.

المعظم غياث الدين تورانشاه الأيوبي (٦٤٧-٦٤٨هـ/ ١٢٤٩-١٢٥٠م) كاتبًا نصرانيًا اسمه هبة الله بن أبي الزهر بن حشيش، بأن يوليه وزارة مصر، فما كان من الكاتب إلا أن أسلم وتلقّب مباشرة بالقاضي معين الدين[١]؛ فهو إذن لقب شرفي في حالتنا هذه.

وظائفه:

عمل، كما يحدثنا في كتابه هذا، كاتبًا للملك الأشرف موسى[٢]، صاحب حمص، ونائب هولاكو على جميع نواب الشام. ثم عمل نائبًا في ديوان الاستيفاء[٣]. والنائب في الدواوين قد يُكلّف برفع الحسابات أو الكتابة عليها[٤]، ثم خدم في كتابة الجيش بحلب[٥]، ثم توجّه إلى القاهرة، وخدم فيها في عِدَّة جهات

---

(١) المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٢، ص٣٥٢.

(٢) الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه (الثاني)، صاحب حمص، توفي سنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م، أخذ الملك الناصر صاحب الشام حمصَ منه سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، ولما احتل هولاكو دمشق، اتصل به الملك الأشرف، وعاونه على تسليم حصون في الشام، فعينه هولاكو نائبًا له على جميع نواب الشام. انظر: اليونيني، موسى بن محمد، **ذيل مرآة الزمان** (حيدرآباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، ج٢، ص٣١٠؛ الصفدي، خليل بن أيبك، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: هلموت ريتر وآخرين (فيسبادن: فرانز شتاينر، ١٣٨١-١٤٢٩هـ/ ١٩٦٢-٢٠٠٨م)، ج٢٦، ص٤٩٦؛ أبو الفداء، إسماعيل بن علي، **المختصر في أخبار البشر** (مصر: المطبعة الحسينية، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م)، ج٣، ص٢١٨؛ الصقاعي، فضل الله بن أبي الفخر، **تالي كتاب وفيات الأعيان**، تحقيق: جاكلين سوبلة (دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٧٤م)، ص١٣٤.

(٣) ديوان يحرّر فيه تقييد الإقطاعات. راجع: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١١، ص٣٢٥.

(٤) ابن مماتي، أسعد بن المهذب، **قوانين الدواوين**، تحقيق: عزيز سوريال عطية (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م، صورة عن طبعة، مصر: الجمعية الزراعية الملكية، ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م)، ص٣٠٤.

(٥) ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ج٣، ص٢١٤؛ الصفدي، **نكت الهميان**، ص٢٢٤؛ **أعيان العصر**،

لـم تذكر لنا المصادر تفاصيلها، ثم نُصِّبَ مسـتوفيًا بحلب في دولة الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م)[١]، عام ٦٧٨هـ/ ١٢٨٠م، ويذكر المقريزي مخصصات ابن الواسطي في هذا المنصب، فيقول: «وقرر له في الشهر أربعمائة درهم وستة مكاكي[٢] قمح ومكوكان شـعير»[٣]. ثم صُرف عنها وعاد إلى مصر وخدم بديوان الإنشـاء[٤]. ثم وليَ في عهد المنصور قـلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٠م) نظـر الصحبة[٥] عام ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م[٦]. أما مشـدّ الصحبة الذي عمل ابن الواسـطي تحت رئاسـته، فكان الأمير بدر الدين بكتـوت بن عبدالله الأقرعي

ج٤، ص٢٢.

(١) الصفدي، **نكت الهميان**، ص٢٢٤؛ **أعيان العصر**، ج٤، ص٢٢.

(٢) مَكاكي، ومَكاكِيك: جمع المكُّوك، وهو مكيال معروف. وذكر ابن منظور أنها تساوي صاعًا ونصفًا. راجع: ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ج١٠، ص٤٩١ «مكك».

(٣) **السلوك**، ج١، ق٣، ص٦٧٠.

(٤) المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص١٢٢؛ الصفدي، **نكت الهميان**، ص٢٢٤؛ **أعيان العصر**، ج٤، ص٢٢؛ ابن تغري بردي، **المنهل**، ج٨، ص٣٥٧.

(٥) الناظر: هو المسؤول عن الجوانب المالية بالديوان الذي يعمل به. ولا بد من توقيعه على جميع ما يخرج من الديوان. وهو كذلك المشرف على إيرادات الديوان ومصروفاته. راجع: ابن مماتي، **قوانين**، ص ٢٩٨ ؛ النويري، أحمد بن عبدالوهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب** (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م)، ج٨، ص٢٩٩.

(٦) ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ج٣، ص٢١٤-٢١٥؛ البرزالي، **المقتفي**، ج٤، ص٦٧؛ المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص١٢٢؛ الصفدي، **نكت الهميان**، ص٢٢٤؛ **أعيان العصر**، ج٤، ص٢٢؛ ابن تغري بردي، **المنهل**، ج٨، ص٣٥٧.

(ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م)[١]. ثم تولى نظر الدولة بمصر[٢]. ثم أُقيل، ونُقل إلى نظر حلب حيث تولى نظر دواوينها، سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م[٣]. ثم تولى نظر الدواوين بدمشق عوضًا عن شرف الدين بن مزهر[٤] سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م[٥].

صفاته وحياته:

تصف المصادر المؤلف غازي ابن أحمد بن الواسطي، بصفات شتى اتفقت على بعضها، وهي صفات تفيد معرفتها في فهمنا للنص الذي نحن بصدده، وإن غيّبناها وأهملنا تتبعها أثَّر ذلك سلبًا على قراءتنا لما كتب. من هذه الصفات أنه كان «طويل اللسان»[٦]، ولعلنا نرى شواهد ذلك في كتابه هذا. وقد وصفته المصادر أيضًا بالظلم والجور[٧]، خاصة عندما وليَ نظر الصحبة في عهد الملك

(١) ترجمته في: البرزالي، **المقتفي**، ج٢، ص٣٨٥؛ الذهبي، محمد بن أحمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ج١٥، ص٧٨٦؛ الصفدي، **الوافي**، ج١٠، ص٢٠٠.

(٢) ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ج٣، ص٢١٥؛ المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص١٢٢.

(٣) البرزالي، **المقتفي**، ج٤، ص٦٧؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ج٣، ص٢١٥؛ المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص٢٨؛ الصفدي، **أعيان العصر**، ج٤، ص٢٢؛ **نكت الهميان**، ص٢٢٤؛ المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص٢٨.

(٤) الصاحب شرف الدين يعقوب بن مظفر بن مُزْهر، باشر النظر بدمشق وحلب وطرابلس وصَفَد، وغير ذلك من المناصب. توفي بحلب سنة ٧١٤هـ/ ١٣١٤م. انظر: الصفدي، **أعيان العصر**، ج٥، ص٥٨٣؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ج٤، ص٤٣٦.

(٥) ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ج٣، ص٢١٥؛ البرزالي، **المقتفي**، ج٤، ص٦٧؛ المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص١٢٢؛ الصفدي، **نكت الهميان**، ص٢٢٤؛ **أعيان العصر**، ج٤، ص٢٢.

(٦) ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ج٣، ص٢١٥؛ المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص٢٨؛ الصقاعي، **تالي**، ص١٢٨.

(٧) ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ج٣، ص٢١٥؛ الصفدي، **أعيان العصر**، ج٤، ص٢١.

الناصر قلاوون، وكان يعمل تحت رئاسة مشد الصحبة الأمير بكتوت الأقرعي.

بدأ ابن الواسطي حياته العملية في حلب، إلى أن أصبح كاتبًا للملك المظفر موسى، كما سبق. ثم تنقّل في وظائف الدولة وترقى إلى أن اصطدم بكاتب اسمه التاج ابن سعيد الدولة (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)[١]، وبدأ تهديد مركزه الوظيفي. وقد كانت بداية هذا الاصطدام بينهما عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م، عندما أمر الوزير سنقر الأعسر (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)[٢] بضرب ابن سعيد الدولة بالمقارع حتى أسلم، وذلك عن مشورة صاحبنا ابن الواسطي[٣]. وقد استأثر هذا الكاتب بمكانة عالية عند الأمير بيبرس الجاشنكير (ت ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م)[٤]، فلما ضُرب ابن سعيد الدولة اعتزل في زاوية نصر بالقاهرة، وهي منسوبة إلى الشيخ أبي الفتح نصر بن سليمان المنبجي (ت ٧١٩هـ/ ١٣١٩م)[٥]، وكان الشيخ نصر هذا شيخًا للأمير بيبرس الجاشنكير، وكان للأخير اعتقاد كبير في الأول[٦]. فلما تسلطن

---

(١) انظر تفاصيل ترجمته في: ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ج١، ص٥١٥-٥١٦؛ ابن حبيب، الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، تحقيق: محمد محمد أمين (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦-١٩٨٦م)، ج٢، ص٢٧؛ الصفدي، **أعيان العصر**، ج٢، ص١٠٢.

(٢) الأمير شمس الدين سنقر الأعسر المنصوري، ولي الوزارة سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م. انظر ترجمته في: ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ج٢، ص١٧٧؛ الصفدي، **الوافي**، ج١٥، ص٤٩٧؛ **أعيان العصر**، ج٢، ص٤٧٨.

(٣) ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ٣: ٢١٥؛ المقريزي، **السلوك**، ١ق٣: ٨٧٨، ٩١٦-٩١٧، ٢ق١: ٢٨.

(٤) ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ج١، ص٥١٥-٥١٦؛ الصفدي، **أعيان العصر**، ج٢، ص١٠٢؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج٢، ص٢٧.

(٥) المقريزي، أحمد بن علي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** (القاهرة: دار الطباعة المصرية، ١٢٧٠هـ)، ج٢، ص٤٣٢.

(٦) السابق؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٣، ص٩١٧؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ج٤،

بيبرس الجاشنكير، وتسمى بالملك المظفر (٧٠٨-٧٠٩هـ/ ١٣٠٩-١٣١٠م)، أراد تولية ابن سعيد الدولة الوزارة، ولكنه امتنع، فجعله مشيرًا على الوزير ضياء الدين أبو بكر بن عبدالله النشائي (ت ٧١٦هـ/ ١٣١٦م). وتحدثنا المصادر أن النشائي كان لا يقطع في أمر، وليس له من الوزارة إلا اسمها، والأمر كله لابن سعيد الدولة[١]. فلما استقر ابن سعيد الدولة في منصبه الجديد، وبلغ تلك المكانة من الجاشنكير، عمل على إخراج خصمه ابن الواسطي، وظل يحاول إقناع الجاشنكير حتى أخرجه إلى حلب[٢]. ويجعل المقريزي، كما تقدّم، ذلك في عام ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م، أي قبل تسلطن الجاشنكير، ولا مخالفة هنا، فقد كان الجاشنكير وسلار (ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠م) متحكمين في أمور الدولة، وليس للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من السلطنة إلا الاسم[٣]. ولما بُلِّغ القرار إلى ابن الواسطي، قال: «والله لقد كنت قانعًا بجهنم عوضًا عن موافقة ابن تعيس الدولة»، ثم سار إلى حلب[٤].

ص٣٩٢؛ الصفدي، **الوافي**، ج٢٧، ص٦٧؛ **أعيان العصر**، ج٥، ص٥٠٢.

(١) ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ج١، ص٤٤٤، ص٥١٥-٥١٦؛ الصفدي، **الوافي**، ج١٠، ص٢٣٧-٢٣٨؛ **أعيان العصر**، ج١، ص٧١٩؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج٢، ص٢٧؛ الدوادار، بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تحقيق: دونالد س. ريتشاردز (بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص٣٨٨، ٤٠٧.

(٢) ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ج٣، ص٢١٥؛ المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص٢٨.

(٣) المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٣، ص٨٧٣ فما بعدها، ج٢، ق١، ص٤٣؛ الصفدي، **أعيان العصر**، ج٢، ص٧١-٧٢.

(٤) المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص٢٨؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ج٣، ص٢١٥.

موضوع الكتاب:

يتحدث الكتاب عن توظيف أهل الذمة في دواوين الدولة، ويُعبِّر المؤلف، من وجهة نظره، عن خطورة ذلك، ووجوب تنبّه الدولة، خاصة في ذلك العصر الذي اجتاح فيه المغول والصليبيون المنطقة. وهذا النوع من المؤلفات يشيع في فترات الاضطراب السياسي. وترد هذه النصائح من كبار موظفي الدولة، كما فعل علي ابن منجب بن سليمان، المعروف بابن الصيرفي (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) في كتابه (**قانون ديوان الرسائل**). وكان ابن الصيرفي من كبار كتاب الدولة الفاطمية[١].

وقد كانت للمؤلف خصومات مع كتاب نصارى، ذكر بعضها في كتابه هذا، ولم يصرّح ببعضها الآخر. ولعل أقواها أثرًا فيه وفي وظيفته تلك التي نشأت بينه وبين ابن سعيد الدولة، كما تقدَّم.

أهمية الكتاب:

إن النصوص التي كتبها موظفو الدولة ورؤساء الدواوين الخاصة بأهل الذمة قليلة، بل تكاد تكون نادرة. وهي تعكس لنا الوضع الوظيفي السيادي لأهل الذمة في وقت كتابتها بدقّة تفوق ما يرد في كتب التاريخ. وتعكس كذلك الصراع الدائر بين موظفي الدولة بدرجة عالية من الدقة، وذلك باستقرائنا ما بين سطور هذه النصوص.

أضف إلى ذلك أن مؤلف هذا الكتاب شخصية إدارية لها خبرة طويلة في عملها،

---

(١) انظر ترجمته في: ابن ميسر، محمد بن علي، **المنتقى من أخبار مصر: انتقاه تقي الدين أحمد بن علي المقريزي**، تحقيق: أيمن فؤاد سيد (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، د.ت)، ص١٣٨؛ الحموي، ياقوت بن عبدالله، **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م)، ج٥، ص١٩٧١؛ الصفدي، **الوافي**، ج٢٢، ص٢٢٨.

كما رأينا في ترجمة الشخصية، وهذا يضفي على الكتاب أهمية أخرى تتمثل في أنه مصدر إداري لذلك العصر، وردت فيه آليات وممارسات إدارية، وصفة إجراءاتها. وهو أيضًا أولاً وأخيرًا مصدر تاريخي لعصره، ذكر فيه المؤلف رؤيته وانطباعه عن عصر احتلال المغول لبلاد الشام، وكيف كانت الأمور والإجراءات الأمنية تجري بين القائد العسكري المغولي والنائب المسلم الذي عينه هولاكو نائبًا له على بلاد الشام. وقد كان المؤلف كاتبًا لذلك النائب الأيوبي، الذي سترد ترجمته في الكتاب. بالإضافة إلى أحداث أخرى عاصرها المؤلف ووردت في ثنايا هذا الكتاب.

وقد كتبت النسخة الأصلية للمؤلف، بين عامي ٦٨٩-٦٩٣هـ/ ١٢٩٠-١٢٩٣م، وهي سنوات حكم الملك الأشرف خليل ابن الملك المنصور قلاوون، الذي وُجِّه إليه الكتاب، كما يظهر في فقراته. مثل قوله: «ومن جملة ذلك بنى بدير القصير مسجدًا ثم أخفاه النصارى إلى أيام السلطان الملك الظاهر رحمه الله، وجرى في أموره وأسبابه ما أرجو أن يسألني مولانا السلطان عنه». وقوله: «وأرجو من الله تعالى، الذي أعطى هذا مولانا السلطان ابن السلطان، الملك الأشرف صلاح الدين من النصر والفتوحات الميسّرة ...». وغيرها من الإشارات. وهو كتاب يخاطب فيه المؤلفُ السلطانَ، ولا يُخاطب فيه غيره. لذلك لا غرابة أن لا نجد ذكرًا للكتاب عند من ترجم للمؤلف، فهو لم يُنشر ويستنسخ لعامة القراء، وإنما قدمت منه نسخة للسلطان، صانع القرار. ويبدو أنه كان لهذا الكتاب أثره الذي رجاه منه مؤلفه، فقد ورد أن الملك الأشرف ألزم كتاب النصارى في مصر وبلاد الشام بالإسلام إن أرادوا الاستمرار في وظائفهم، وإن لم يفعلوا استبدل بهم غيرهم من المسلمين[1].

(١) الصقاعي، تالي، ص٧١.

النسخة المخطوطة والطبعة السابقة:

لم أعثر على نسخة أخرى من الكتاب، على الرغم من البحث عنها طويلاً. والنسخة الوحيدة له هي نسخة «سلطانية»، أو كما تسمى أيضًا نسخة «خزائنية»، وهي التي تُنسخ عن الأصل للحفظ في خزانة كتب السلطان، أو الأمراء، أو الأثرياء. محفوظة في مكتبة جامعة كولومبيا، في مدينة نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، تحت رقم (X893.7G34 V5). وهي نسخة مذهبة العناوين، والفواصل[1]، ويبدو أن الورقة الأولى منها، التي تحتوي على الغلاف وفي ظهرها بداية الكتاب، قد تلفت أو فُقدت، واستبدلت بأخرى يختلف خطها ونوعية ورقها عن باقي المخطوط، نُسخت عن نسخة أخرى من الكتاب.

وقد نشر هذا النص ريتشارد جوثيل (Richrd Gottheil) عام ١٩٢١م[2]، وله فضل السبق. لكن عاب نشرته تصحيف وتحريف وسقط في النص. وقد بلغت المواضع المصحفة والمحرفة أربعة وثمانين موضعًا، وبلغ ما سقط من النص في تلك النشرة سبعة وعشرين سقطًا. وللأهمية التاريخية للنص، كان لابد من إعادة تحقيقه للاستفادة منه بشكل صحيح، ولكي لا تُبنى نتائج الباحثين على نص مغلوط، فتصبح تلك النتائج أيضًا خاطئة.

تقع هذه النسخة الخزائنية في ٦٦ ورقة، مكتوبة عناوينها بخط الثلث، وباقي المتن كُتب بخط نسخ مُتقن، مذهبة العناوين والفواصل، وكما سبقت الإشارة فإن الورقة التي احتوت على العنوان، وحوى ظهرها الستة الأسطر الأولى من النص قد أضيفت فيما بعد بدلاً من الأصل التالف، فيما يبدو. وعلى ظهر ورقة العنوان

---

(١) يقصد بالفواصل هنا، إحدى علامات الترقيم المتبعة في المخطوطات العربية قبل الطباعة، وهي الدائرة المصمتة (●)، التي تكون علامة للفصل بين الفقرات.

(٢) Richard Gottheil, "An Answer to the Dhimmis," *Journal of the American Oriental Society* 41 (1921): 383-457.

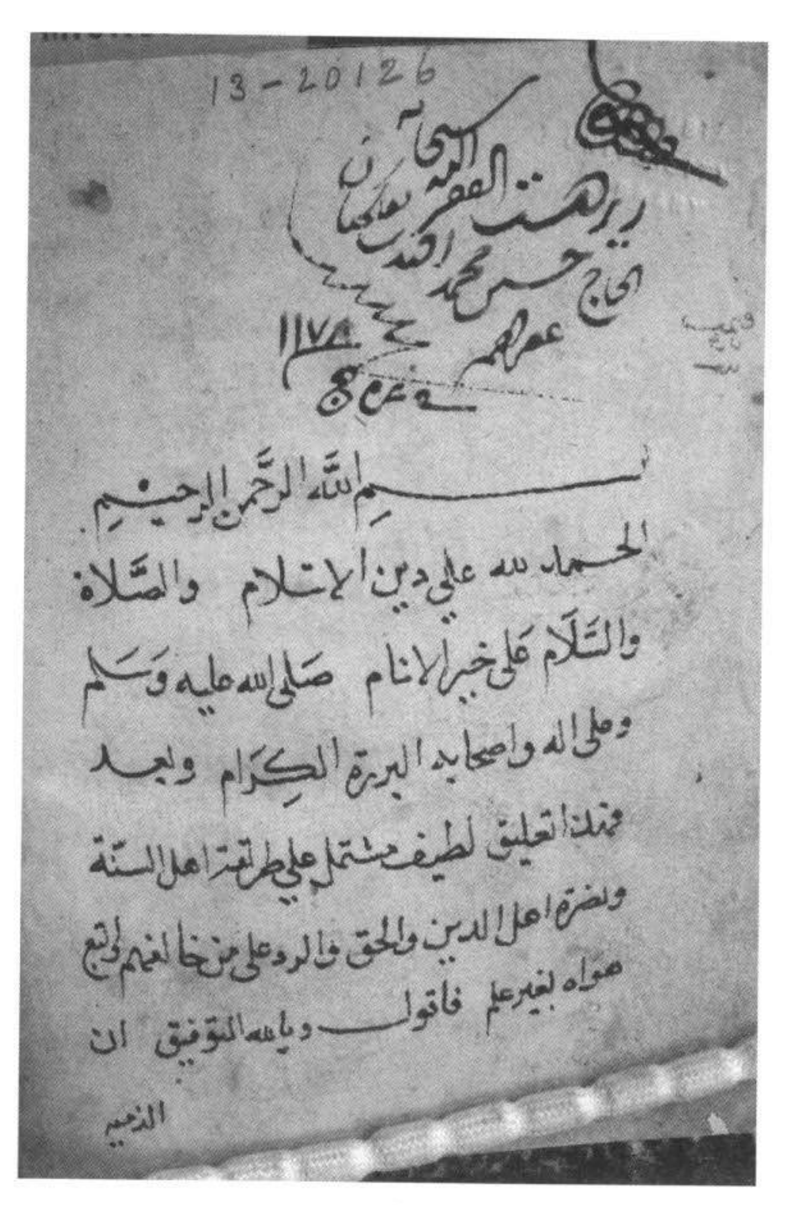
المضافة، وفوق البسملة في أعلى الورقة الأيمن نص تملك باللغة العثمانية، هذا نصه: «بيد الفقير إليه سبحانه الحاج حسين محمد أفندي (مصاحبان) غُفر لهم، في غرة جمادى الآخرة ١١٧٨هـ». وفي أقصى يمين أعلى الورقة كتب: «قيمته بارة واحدة»، والبارة هي الفِلْس.

وقد ختم المخطوط دون إشارة إلى اسم كاتبه أو ناسخه، وتاريخ نسخه ومكانه. وقد يحدث هذا في النسخ الخزائنية، إذ ترد جميع هذه المعلومات في الصفحة الأولى، التي تحتوي على هذه المعلومات مع زخارف وتذهيب، وهي التي فُقدت في هذا المخطوط كما أشرنا.

عملي في التحقيق:

لأني لم أعثر على نسخة أخرى، بعد بحث طويل، فقد اقتصر عملي في ضبط النص على هذه النسخة المنسوخة عن أصل المؤلف، ليخرج الكتاب في أقرب صورة إلى ما كتبه مؤلفه، دون تحريف أو تصحيف النُسَّاخ. وقد حرصت على إثبات التحريف والتصحيف والسقط الوارد في التحقيق الأول، لشهرة تلك النسخة واعتماد الباحثين عليها، وأشرت إلى ذلك في الهامش ورمزت إليها بـ (ر). وقد اعتمدت الرسم الإملائي الحديث، وأبقيت على الأخطاء اللغوية كما وردت، ونبّهت عليها بإيراد عبارة [كذا] بعدها، لكي لا يعتقد أنها خطأ مطبعي.

وترجمت لغير المشهورين من الأعلام، إلا القليل مَن لم أهتدِ إلى ترجمته، وعرّفت بغير المشهور من المواضع، وعرّفت المصطلحات المملوكية والإدارية، ليفهم النص بشكل أفضل. وأشرت إلى ورود بعض الأحداث التاريخية، التي لم يعاصرها المؤلف، في مصادر أخرى لمن أراد الاستزادة في تفاصيل الحدث. وعزوت الأحاديث النبوية الشريفة إلى مصادرها. ووضعت بين معقوفتين [ ] ما أضفته لتوضيح ما طُمس في الأصل، لكي يستقيم المعنى، ويتبيّن القارئ ذلك. وختمته بفهارس للأعلام والمواضع والمصطلحات، لكي تتم الفائدة.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على دين الاسلام والصلاة
والسلام على خير الانام صلى الله عليه وسلم
وعلى اله واصحابه البررة الكرام وبعد
فهذا تعليق لطيف مشتمل على طريقة اهل السنة
ونصرة اهل الدين والحق في الرد على من خالفهم واتبع
هواه بغير علم فاقول وبالله التوفيق ان

الذمية

الورقة الأولى من المخطوط، التي أُلحقت فيما بعد بدلاً عن الورقة التالفة.

الورقة الثانية، ويظهر فيها الخط الذي كتب به باقي المخطوط.



في تولية المناصب فإن اليهود يعتقدون أن الربا جائز مع
غير أهل ملتهم لاعتقادهم استباحة الأموال فمن يعتقد استباحة
الأموال من المسلمين كيف يجوز توليته عقلا أو شرعا فقد
قال [illegible] العجب من مؤمن يستخدم كافرا يخالفه في آرائه
ويضاده في دينه واعتقاده وقالوا أيضا العجب ممن يطرح
وليا مؤمنا عاقلا ويكتفي عدوا جاهلا كافرا وقال
آخر في المسلم أربع خصال لا توجد في غيره حسن العفاف وكثرة
الإنصاف والرقة على أهل الدين ونصح المسلمين وفي المشرك
أربع خصال قلة الدين وكثرة الخيانة وغش المسلمين وإبعاد أهل الدين

كمل الكتاب بحمد الكريم الوهاب

والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وصحبه وسلم

حسبنا الله ونعم الوكيل

الورقة الأخيرة من المخطوط.

[٢/ ب]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على دين الإسلام، والصَّلاة والسَّلام على خير الأنام ﷺ، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام. وبعد، فهذا[1] تعليق لطيف مشتمل على طريقة أهل السنّة، ونصرة أهل الدين والحق، والردّ على من خالفهم واتّبع هواه[2] بغير علم. فأقول -وبالله التوفيق-: إنَّ [٣/ أ] الذِمَّة الغير مخفيَّة مِنَ المتُصرفِّين في الممالك المصريَّة والشاميَّة، من كفرة ملَّة اليهوديَّة، والطّوائف النصرانيَّة؛ فإنهم أشدُّ كُفرًا وأكثرُ عنادًا ممن [--ل][3] بالسَّيف، وأضَرَّ[4] على الإسلام بظُلمهم والحيف[5]. ليظهر لعلومه الشريفة ما على الإسلام من ضررهم، رجاء أن يُطَهِّر أيام سلطنته الشريفة من وضرهم[6] كما دَرَّس ممالكهم الحصينة المنيعة، ومعاقلهم الشَّاهقة الرَّفيعة، وجعلهم كأمس[7] الذَّاهب، وسُطِّر في صحائف أيام دولته الشَّريفة منقبةٌ لم تكن لسلاطين المشارقِ والمغارب، ويسلُك بهم مسلكَ رسول الله ﷺ، والخُلفاء الرَّاشدينَ، والسَّلاطين العادلين.

---

(١) في (ر): «فمنذ».

(٢) في (ر): «وتبع هواهم».

(٣) كلمة مطموسة بالأصل، ولعلّها (قُتِلَ). وفي (ر): «أهل بالسيف».

(٤) في (ر): «وأصرت».

(٥) في (ر): «الحنف».

(٦) الوَضَرُ: وسَخُ الدَّسَم واللبن، وبقيَّة الهناء. وهو ما يُشَم من ريح تجدها من طعام فاسد. راجع: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط** (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢م)، ج٢، ص١٦٠ (وضر).

(٧) في (ر): «كأمن».

وقد جعلتُ كتابي هذا مُقدِّمةً وفصلين؛ فالمقدمة فيما[1] تضمَّنه الكتاب العزيز، وما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ. والفصل الأول فيما ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، وعن التَّابعين [٣/ ب] وتابعيهم من بني أُمَيَّة، وبني العبَّاس ﷺ، والمصريين وغيرهم. والفصل الثَّاني في وقائعَ جَرَت في عصرنا هذا، وشهدها أكابرُ النَّاس. وعَرَّيتُ ما أوردتهُ من لباس الالتباس، وختمتهُ بمباحثَ لا يستطيعُ أحدٌ أن ينقُضَها ولا يُعارضها ويرفضها. ليعلمَ من تأمَّلهُ، وعَرَفَ جُمَلَهُ ومُفصَّلَهُ أنّي لم أبتغي [كذا][2] غير نُصح سُلطاني، والقُربى إلى الله عزَّ وجلَّ بما سطَّرته ببناني. وأسأل الله المعونة والتَّوفيق بمنِّه وكرمه.

---

(١) في الأصل: «فلما». وفي (ر): «ما».

(٢) صوابها: أبتغِ.

المقدمة
فيما ورد في الكتاب العزيز

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١]. وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩]. والنَّصارى أدخل في الشركِ من اليهودِ، كما أن اليهودَ أدخلُ من النَّصارى في الكفر والعنادِ؛ فلذلك وسم الله عزَّ وجلَّ (١ هؤلاء١) بالغضبِ، وهؤلاء بالضَّلال. وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٧].

ما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ (٢)

خَرَّجَ مسلم في صحيحه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله ﷺ قبل بدرٍ، فلمَّا كان بحرَّة الوبرة(٣) أدركه رجلٌ كان يُذكر عنه جُرأة ونجابة، ففرح به أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه. فقال لرسول الله صلى الله عليه

---

(١) سقطت من (ر).

(٢) سقط العنوان من (ر).

(٣) حَرَّة الوَبَرَة، وقد سَكَّن بعضهم الباء: من حَرَّة المدينة الغربية، مما يلي العقيق. وهي على ثلاثة أميال من المدينة. راجع: الحموي، ياقوت بن عبدالله، **معجم البلدان** (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م)، ج٢، ص٢٥٠.

[٤/ ب] وسلم: جئت لأتَّبعك وأصيب[1] معك. فقال [2]له[2] رسول الله ﷺ: «تُؤمن بالله ورسوله»؟ فقال: لا. فقال له رسول الله ﷺ: «ارجع، فلن أستعين بمُشرك». فرجع حتَّى إذا كان بالشَّجرة لحق رسول الله ﷺ، فقال له كما قال أوَّل مرَّة فقال: لا. فقال: «ارجع فلن أستعين بمُشرك». فرجع حتَّى إذا كان بالبيداء لحقه، فقال له رسول الله ﷺ: «أتؤمن بالله ورسوله»؟ فقال: نعم، فقال: «اتَّبعني»[3]. فلذلك قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: لا يُستعان باليهود والنصارى في شيء من أعمال المسلمين مثل الخراج وغيره[4]. وكذاك[5] قال أبو حنيفة والشَّافعي رضي الله عنهما، وغيرهم من الفقهاء، أنَّه لا يجوز استعمالهم في شيء من الولايات والأمانات، فإن الكفر يُنافي الولاية والأمانة، لأنَّ قوله ﷺ: «لن أستعين بمشرك»، يعمّ الاستعانة بهم في الاستنصار والاستعمال والاستكتاب، وغير ذلك. فإن [٥/ أ] القول العام يجري على عمومه، ولا يقتصر على سببه. وقد تأيَّد هنا بوجهين: أحدهما أنَّه علَّل امتناعه من الاستعانة بالشِّرك، وهذه[6]

---

(١) في (ر): «وأحارب».

(٢) سقطت من (ر).

(٣) مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم بشرح النووي**، (القاهرة: المطبعة المصرية، ١٣٤٩هـ)، ج١٢، ص١٩٨. مع اختلاف في اللفظ.

(٤) ورد عند ابن قدامة في فصل: «لا يستعان بمشرك في الحرب» قال: «وعن أحمد ما يدل على جواز الاستعانة به». راجع: ابن قدامة، عبدالله بن أحمد، **المغني**، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي وعبدالفتاح محمد الحلو (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م)، ج١٣، ص٩٨؛ المروزي، إسحاق بن منصور، **مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه**، تحقيق: سليم بن مطر البلوشي (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م)، ج٨، ص٣٨٤٧.

(٥) في (ر): «وكذلك».

(٦) في (ر): «ولذه».

العلَّة [١] موجودةٌ في كل استعانة. والثَّاني أنَّه إذا لم يستعن بهم في القتال الذي ليس فيه [١] تولية، ولا استئمان، ولا إعلاء درجة، ففي الولايات والمناصب أولى وأحرى. [٢] ولهذا اتَّفق الفقهاء على أنَّه لا يجوز استعمالهم وإعزازهم ورفعهم في مجلس، ولا يُمكَّنوا من رفع بنائهم على بناء المسلمين، ولا يُبدؤوا بسلام. وإذا لُقُوا في طريق اضطُرُّوا [٢] إلى أضيقها. فإنَّ منع الاستعانة بهم عامٌّ معقولٌ، المعنى المُراد به كل كافر من أهل الكتاب، فعلّق الحُكم على إيمانه بالله ورسوله. فإنَّ الكتابيَّ لمَّا كذَّبَ بدين الله ورسوله، وخالف سبيل أنبياء الله فلزمه الشِّرك. ولهذا قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[التوبة: ٣١]. [٥/ ب] وروى الإمام أبو بكر الأثرم رحمه الله[٣]، وهو من أكابر رواة الحديث، روى عن[٤] الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيره في سننه: عن أبي موسى الأشعري رحمه الله، [٥] أنَّ [٥] أمير

(١) سقطت من (ر).

(٢) سقطت من (ر).

(٣) أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الطائي، صاحب الإمام أحمد بن حنبل. ذكر الحافظ ابن حجر أنه توفي سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦م. انظر ترجمته في: الخطيب البغدادي، **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها**، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج٦، ص٢٩٥؛ الفراء، محمد بن أبي يعلى، **طبقات الحنابلة**، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين (الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ج١، ص١٦٢؛ المزي، يوسف بن عبدالرحمن، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ج١، ص٤٧٦.

(٤) في الأصل: «عنه».

(٥) سقطت من (ر).

المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أمره أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أَدِيم واحد. وكان لأبي موسى كاتبٌ نصرانيّ، فرفع إليه ذلك فَعَجِبَ عمر ﷺ منه وقال: إنَّ هذا لحافظ فادعه ليقرأ، فقال أبو موسى: إنَّه لا يستطيع أن يدخل المسجد، فقال عمر: أجُنُبٌ هو؟ فقال: بل نصرانيّ. قال: فانتهرني وضرب فخذي بيده حتَّى (١كاد١) يكسره وقال: لا تُدنِهم إذ أقصاهم الله، ولا تأمنهم (٢ بعد٢) إذ خوَّنهم الله، ولا تُعِزَّهم إذ أذلَّهم الله[٣]. وروى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن حرب الكَرماني[٤] في مسائله عن عياض الأشعري أنَّ أبا موسى استكتب نصرانياً فأنكر عمر ﷺ عليه ذلك فقال [٥/ ب] أبو موسى: لي عملُه. فقال عمر ﷺ: لا تأمنوهم إذ خوَّنهم الله، ولا تعِزُّوهم إذ أذلَّهم الله، ولا تُقرِّبوهم إذ أبعدهم الله[٥]. وقدم[٦] على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بعض المهاجرين بمالٍ من البحرين،

(١) سقطت من (ر).

(٢) سقطت من (ر).

(٣) البيهقي، أحمد بن الحسين، **السنن الكبرى** (حيدرآباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٤-١٣٥٥ هـ)، ج١٠، ص١٢٧.

(٤) أبو محمد حرب بن إسماعيل بن خَلَف الحنظليّ الكَرْمِانِيّ (يجوز فتح الكاف وكسرها). نسبته إلى مُرَبّعة الكَرْمانيّة، مَحَلّة كبيرة بنيسابور. توفي سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م. انظر: الفراء، **طبقات**، ج١، ص٨٨؛ السمعاني، عبدالكريم بن محمد، **الأنساب**، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج١٠، ص٤٠٤؛ الذهبي، محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ج١٣، ص٢٤٤؛ ابن العماد، عبدالحي بن أحمد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: عبدالقادر ومحمود الأرناؤوط (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م)، ج٣، ص٣٣٠.

(٥) الخلال، أحمد بن محمد، **أحكام أهل الملل والردة من كتاب الجامع**، تحقيق: إبراهيم بن حمد بن سلطان (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م)، ج١، ص١٩٧.

(٦) في (ر): «وقد مر».

فقال عمر: يا معاشر المسلمين رحمكم الله، قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم كِلنا كيلاً، وإن شئتم وزَنَّا وزنًا، وإن شئتم عَدَدنا عَدَدًا. فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأينا الأعاجم يُدَوِّنون دواوين. فأَمَرَ بوضع الدَّواوين في الأعمال، وكَتَبَ إلى عُمَّالِه جميعهم أن لا يستخدموا كافرًا يهوديًّا كان أو نصرانيًّا. وكتب معاوية بن أبي سفيان رحمه الله إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: أمَّا بعد، فإنَّ في عملي كاتبًا نصرانيًّا لا يَتِمّ أمرُ الخراج إلاّ به، وكرهت الاستمرار به دون أمرك. فَرَدَّ جوابه: عافانا الله وإيَّاك، قرأتُ كِتَابك في أمر النصرانيّ، والجواب: أمَّا بعد، فإنَّ النصرانيّ قد مات.

ولم يُنقل في خبر [٦/ أ] من الأخبار، ولا تاريخ من التَّواريخ أنَّه استُعمل مشرك من المشركين في عمل من الأعمال في زمن النبي ﷺ، ولا زمن أبي بكر، ولا عمر ولا عثمان ولا عليّ رضي الله عنهم. وعن أبي مَشْجَعَةَ بن ربعي[١]، من أعيان المحدّثين رحمه الله قال: لمَّا قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ الشَّام، قام قسطنطين بطريق الشَّام بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ أبا عبيدة بن الجرَّاح فَرَضَ علينا خراجًا، فاكتب لي به كتابًا. فأنكر عمر ذاك وقال: ما الذي فَرَضَ عليك؟ قال: فَرَضَ أربعة دراهم، وعباءةً على كلّ جَلْجَلَةٍ[٢]، يعني

(١) أبو مشجعة بن ربعي الجهني. انظر عنه: ابن منظور، محمد بن مكرم، **مختصر تاريخ دمشق**، تحقيق: إبراهيم الزيبق (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٩٨م)، ج٢٩، ص١٥٣؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م)، ج٧، ص٣٢٩؛ المزي، **تهذيب الكمال**، ج٣٤، ص٢٩٤.

(٢) هكذا في الأصل، وفي المصادر التالية: «جَلْجَة؟» راجع: الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة، ج١٠**، تحقيق: علي حسن هلالي (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت)، ص٤٩٢ (جلج)؛ ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٦٥٠ (جلج)؛ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج وآخرين

جُمجمة، ولم يكن أحد أن يستطيع عند عمر ﷺ أن يتكلَّم إلاّ بإذنه، فالتفت إلى أبي عبيدة ﷺ فقال: ما تقول في هذا؟ قال: كذب عليّ، ولكنّي صالحته صُلحًا، ثم تقدم أنت فتكون الفارض. فقال عمر لقسطنطين: أبو عبيدة أصدق منك. فقال: صدق أبو عبيدة وكذبت أنا. فقال: ما حملك على ذلك؟ فقال: أردت [٦/ ب] أن أخدعك، ولكن افرض أنت. ففرض على الموسر ثمانيةً وأربعين درهمًا، وعلى الوسط أربعةً وعشرين درهمًا، وعلى المُدقع اثنا [كذا][(١)] عشر درهمًا. وعلى أن لا يُحدثوا كنيسةً، ولا يرفعوا صليبًا بين ظهراني المسلمين، ولا يضربوا ناقوسًا إلاّ في جوف كنيسة، وعلى أن نُشاطرهم منازلهم فيسكن فيها المسلمون، فإنّي لا أطمئن إليكم، وعلى أن آخذ الحيِّز[(٢)] القِبلي من كنائسهم لمساجد المسلمين، فإنَّها أوسط في المدائن، وعلى أن لا يُعْبَر بخنزيرٍ بين ظهراني المسلمين، وعلى أن يُقْرُوا ضيوفهم ثلاثة أيام وثلاث[(٣)] ليالٍ، وعلى أن يحملوا راجلهم من رُستاق إلى رُستاقٍ[(٤)]، وعلى أن يُناصحوهم ولا يغشّوهم، وعلى أن لا يتمالوا على عدوٍّ، واستحللنا سفك دمائهم وسبي أبنائهم ونسائهم بذلك عهد الله وعقده

(الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، وزارة الإعلام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٣٨٥-١٤٢٢هـ/ ١٩٦٥-٢٠٠١م)، ج٥، ص٤٥٥ (ج ل ج). ووردت في (ر): «حلحلة».

(١) صحتها: اثني.

(٢) في (ر): «الحير».

(٣) في (ر): «وثلاثة».

(٤) الرُّستاق: والجمع (الرَّساتيق) هو السواد والقُرى، فارسي مُعَرَّب. البشبيشي، عبدالله بن أحمد، **جامع التعريب بالطريق القريب**، تحقيق: نصوحي أونال قره أرسلان (القاهرة: مركز الدراسات الشرقية- جامعة القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ص١٣٩؛ الخفاجي، أحمد بن محمد، **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل** (القاهرة: المطبعة الوهبية، ١٣٨٢هـ)، ص١٠٧.

وذمَّة المسلمين. فقال قسطنطين: اكتب بذلك لنا كتابًا. فبينا[1] يُكتَب الكتاب إذ ذكر عمر ﷺ فقال: إنّي أستثني عليك معرَّة الجيش[2]، مرَّتين. فقال: لك ثنياك. فلمّا فرغ من الكتاب قال له: قُم يا أمير [٧/ أ] المؤمنين في النَّاس فأخبرهم الذي جعلت لي وفرضت عليّ. فقام عمر فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه، من يهدي [كذا][3] الله فلا مُضلَّ له ومن يُضلل الله فلا هادي له. فقال ذلك النَّبطي الملعون: إنَّ الله لا يُضلل أحدًا. فقال عمر ﷺ: ما يقول النَّبطي؟ قيل: يزعم أنَّ الله لا يُضلّ أحدًا. فقال عمر ﷺ: إنَّا لم نُعطك الذي أعطيناك لتدخل علينا في ديننا، والذي نفسي بيده لئن عُدت لأضربنَّ الذي فيه عيناك[4].

فينبغي الفكر فيما انتقده ذلك الكلب، وما قاله أمير المؤمنين عمر ﷺ من شرطه وجوابه بالمؤاخذة على انتقاده، وما يعتمده الآن[5] الأقباط من ترفُّعهم على المسلمين، واتّخاذهم المماليك والإماء والعبيد، ورفعهم المناظر[6] والبنيان، ولبسهم أفخر ملابس المسلمين مع اقتناء الجواهر والزّراكش والبساتين والمتاجر برًّا وبحرًا، ومُلازمتهم الملاذَّ أنواعًا. وإنَّ أحد النصارى يأتي

---

(١) في (ر): «فبينما».

(٢) معرّة الجيش: أن ينزلوا بقوم، فيأكلوا من زروعهم شيئًا بغير علم أو إذن. راجع: الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة، ج١**، تحقيق: عبدالسلام هارون (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت)، ص١٠٠ (عر)؛ ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص٥٥٦ (عرر). ووردت في (ر): «معشرة الحبش».

(٣) صحتها: يهدِ.

(٤) انظر: ابن شبة، عمر بن زيد، **تاريخ المدينة**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت (جدة: د.ن، ١٣٩٩ هـ)، ج٣، ص٨٢٦؛ ابن منظور، **مختصر**، ج٢٩، ص١٥٦ فما بعدها.

(٥) في (ر): «وما يعتهده إلا أن».

(٦) جمع مَنْظَرَة: يُقصد بها جلسة مرتفعة في البيت أو القصر أو القلعة، غالبًا في السطح، وتُعتبر كالمطلّ.

(١ من ١) الرّيف مُدقعًا فقيرًا، وهو من أولاد مدابير النصارى كالمتعيّشين، فيخدم في [٧/ ب] أقلّ الجهات وينهبها، ويبرطل(٢) بما نهبه ويتقدَّم إلى أعلى منها، ويتنقَّل إلى أن يلي الجيش، أو الاستيفاء(٣)، فما يمضي عليه أيسر مُدَّة إلى أن يُجدِّد البساتين والسواقي والأملاك المرخَّمة، فما يصير له ذلك إلى أن تُنهب أموال بيت مال المسلمين، وتتقاسمه الخونة والسِّفَل معهم.

---

(١) سقطت من (ر).

(٢) البِرْطِيْل: الرشوة. والبرطلة: الارتشاء. راجع: الزبيدي، **تاج العروس**، ج٢٨، ص٧٥ (ب ر ط ل).

(٣) المستوفي: كاتب الأموال بالدواوين، وعمله ضبط الديوان التابع له. راجع: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٥، ص٤٦٦؛ ابن مماتي، **قوانين**، ص٣٠١.

وعن[١] عبدالرحمن بن غنم[٢]

قال: كُتب لعمر رضي الله عنه حين صالح نصارى الشَّام ما نُسخته: هذا كتاب لعبدالله عمر أمير المؤمنين من نصارى الشّام، أنّكم لمّا قدِمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا على أن لا نَتَّخذ في مُدننا وما حولها ديرًا ولا كنيسة ولا صومعة لراهب، ولا نُجِدَّ[٣] ما خَرِبَ منها، ولا نُحيي منها ما كان خُطّط من المسلمين، ولا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار، وأن نوسّع أبوابها للمارَّة وأبناء السبيل، وأن ننزل[٤] من مرَّ بنا من المسلمين ثلاثة أيام، ولا نؤوي في كنائسنا ولا منازلنا جاسوسًا ولا نكتم غشًّا للمسلمين، ولا نُعلِّم [٨/ أ] أولادنا القرآن، ولا نُظهر شِرْكًا، ولا ندعوا إليه أحدًا، ولا نمنع أحدًا من قرائبنا من الدُّخول في الإسلام إذا أرادوه، وأن نوقِّر المسلمين، وأن نقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس، ولا نتشبَّه بهم في شيء من لباسهم، ولا نتكنّى بكُناهم، ولا نركب السُّروج، ولا نتقلَّد السيوف، ولا نتّخذ شيئًا من السِّلاح ولا نحمله، ونضرب بنواقيسنا في كنائسنا ضربًا خفيًّا، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نتّخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين، ولا نطّلع عليهم في منازلهم، وأن

---

(١) في (ر): «ومن».

(٢) عبدالرحمن بن غَنْم الأشعري، مختلف في صحبته. توفي سنة ٧٨هـ/ ٦٩٧م. انظر عنه: الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله، **معرفة الصحابة**، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي (الرياض: دار الوطن، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ج٤، ص١٨٦٧؛ ابن عبد البر القرطبي، يوسف بن عبدالله، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البيجاوي (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ج٢، ص٨٥٠؛ مغلطاي، علاء الدين مغلطاي ابن قليج، **الإنابة إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة**، تحقيق: السيد عزت مرسي وآخرين (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٢، ص٢٤. ووردت في (ر): «عبدالرحمن بن عثمان».

(٣) في (ر): «نجدد».

(٤) في (ر): «نزل».

نُرشدهم إلى الطّريق. فلمّا قرأه أمير المؤمنين زاد فيه: شرطنا ذلك على أنفسنا وأهلينا وقبلنا عليه الأمان، فإن[١] نحن خالفنا عن شيء شرطناه لكم وضَمِنَّاه على أنفسنا فلا ذِمَّة لنا، وقد حلَّ لكم منَّا ما حَلَّ لأهل الشِّقاق والمُعاندة[٢]. فليعتبر المُعتبر هذه الشُّروط ويُعاين ملابسهم ومراكبهم وتعرّضهم للمسلمين [٣]والمسلمات[٣] من الأغاني ومن يجري مجراهم. فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

[٨/ ب]

(١) في (ر): «وإن».

(٢) انظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، **تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥-١٤٢١ هـ / ١٩٩٥-٢٠٠٠م)، ج٢، ص١٧٤؛ ابن منظور، **مختصر**، ج١، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٣) سقطت من (ر).

وكتب عمر بن عبد العزيز

سيّد بني أمية رضي الله عنه إلى عُمَّاله في الآفاق: أمَّا بعد، فإنَّ عمر يقرأ عليكم السلام، ويقرأ عليكم من كتاب الله المُبين ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة : ٢٨]، جعلهم الله حزب الشيطان وجعلهم الأخسرين أعمالاً ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٤]، ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [البقرة: ١٦١]. واعلموا أنَّه لم يهلك الذين من قبلكم إلاّ بمنعة الحقّ وبسطة يد الظلم. وقد بلغني عن قوم من المسلمين فيما مضى إذا قدموا إلى بلدٍ أتاهم أهل الشِّرك فاستعانوا بهم في أعمالهم وكتابتهم، لعلمهم بالكتابة والجباية وتدبير المعيشة، ولا خيرة[1] ولا تدبير فيما يُغضب الله ورسوله. وقد كانت مُدَّة قضاها الله تعالى، فلا يُعلمنَّ أنَّ أحدًا من العُمَّال أبقى في عمله رجُلاً مُتصرِّفًا على غير دين الإسلام إلاّ نُكِّل به. فإنَّ محو أعمالهم [كمحو دينهم][2]، وإنزالهم منزلتهم التي خصَّهم الله تعالى من الذُّلّ والصَّغَار. وليكتب [٩/ أ] كلّ منكم إليّ بما فعله في عمله. وأمر أن يُمنع اليهود والنصارى من ركوب السُّروج، ولا يُمكَّن أحد من الذمَّة من الدُّخول إلى الحمّام يوم الجمعة إلاّ بعد الصّلاة. وأمر الحرس بأن يقفوا على رؤوس اليهود والنصارى عند ذبحة ما يذبحونه، وأن يذكروا اسم الله واسم محمد ﷺ[3]. فكتب

---

(١) في (ر): «والأخيرة».

(٢) زيادة من كتاب ابن القيم، ليستقيم المعنى. راجع: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **أحكام أهل الذمة**، تحقيق: صبحي الصالح (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٣م)، ج١، ص٢١٢.

(٣) لا يُذكر عند الذبح إلا اسم الله تعالى.

إليـه عاملـه حَيَّان[١] على مصر: أمّا بعد، يا أمير المؤمنين إن دام هذا الأمر في مصر أسلمت الذمَّة وبطل ما يُؤخذ منهم. فأرسل إليه رسولاً جَلْدًا وقال له: إيت مصرًا واضرب حَيَّانَ على رأسه ثلاثين سوطًا أدبًا على قوله، وقل له: ويلك يا حيَّان، من دخل دين الإسـلام ضع عنه الجزية، فوددت لو أسلموا كافَّة. إنَّ الله بعث محمدًا ﷺ داعيًا لا جابيًا[٢].

(١) حَيَّان بن سُرَيْج: عامل مصر، وقيل: عامل خراج مصر، لعمر بن عبدالعزيز ﵁. توفي سنة ١٠٤هـ/ ٧٢٢م. انظر عنه: ابن يونس، عبدالرحمن بن أحمد، **تاريخ ابن يونس المصري**، تحقيق: عبدالفتاح فتحي عبدالفتاح (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج١، ص٣٢٤؛ ابن ماكولا، علي بن هبة الله، **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، نسخة مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد)، ج٤، ص٢٧٣؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**، تحقيق: علي محمد البجاوي (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م)، ج٢، ص٧٨٠.

(٢) انظر: ابن قيم الجوزية، **أحكام**، ج١، ص٢١٢-٢١٣.

ولمّا استجدّ[١] بنو أمية النصارى في كتابة الأعمـ[ـال] والبلا[د][٢]

كَتَبَ محمد بن يزيد الأنصاري[٣] إلى عبدالملك هذه الأبيات:

بني أمية كُفّوا ألسن الغُلفا كذاك سنَّ رسول الله والخلفا

لا تجعلوا القبط كُتَّابًا لدولتكم فإن في ذلك العدوان والجنفا

فأنتم للهدى نور يضيء [٤ به] بكم على نهجه يجري إذا وقفا

٤فأمر عبدالملك بأن لا يُستعمل في دولته أحدٌ من اليهود والنصارى، وأهدر دم من يستعملهم.

---

(١) في (ر): «استنجد».

(٢) جزء مطموس من الكلمتين.

(٣) محمد بن يزيد الأنصاري، مولاهم. استكتبه الخليفة عبدالملك بن مروان بناءً على تزكية الحجاج بن يوسف الثقفي. كان من أصحاب سليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز، وولاه سليمان إمارة إفريقية، ثم عزله يزيد بن عبدالملك، إلى أن قتل أهل إفريقية من ولاه بدلاً عنه وأعادوه فأقرّه. توفي بعد سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م. راجع: ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج٥٦، ص٢٧٧؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج٣، ص١٦٤.

(٤) سقطت من (ر).

وكتب خالد بن صفوان[1]

إلى عمرو بن العاص رحمه الله عندما وَلِيَ مصر:[2]

يا عمرو قد[2] ملكت يمينك مصرنا   وملكت فيها العدل والإقساطا
فاقتل بسيفك من تعدَّى طوره   واجعل فتوح سيوفك الأقباطا
فبهم أُقيم الجور في جنباتها   ورأى الأنام البغي والإفراطا
لا تركننَّ إلى النصارى إنَّهم   شعب على دين الإله تعاطى

[١٠/أ][3]

واذكر أمير المؤمنين وقوله   إن كنت في طاعاته مُحتاطا[3]
لا تحفظنَّ لـمُشرك عهدًا ولا   ترعى له ذممًا ولا أخلاطا

فرأى في تيك الليلة عمرو [كذا] في منامه قائلاً من النصارى يُنشده ويُشير إليه بكفِّه:

---

(١) خالد بن صفوان بن عبدالله التميمي المنقري البصري (ت ١٣٥ هـ / ٧٥٢م). أحد فصحاء العرب وخطبائهم. كان من جلساء الخليفة هشام بن عبدالملك. ومعاصرته لتولية عمرو بن العاص ﵁ ، لمصر فيها نظر لبعد المدة وتأخّر خالد. وقد نسبها لخالد أيضًا السفاريني الحنبلي، ويبدو أنهما أخذا عن مصدر واحد نسبها إلى خالد، وهو (**درر الآداب ومحاسن ذوي الألباب**) للملك المنصور أبي المعالي محمد بن عمر الأيوبي (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢١م). فقد ذكره السفاريني صراحة، ونقل عنه. راجع: السفاريني، محمد بن أحمد، **غذاء الألباب شرح منظومة الآداب**، تحقيق: محمد عبدالعزيز الخالدي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م)، ص١٣-١٤. وانظر ترجمة خالد في: الحموي، **معجم الأدباء**، ج٣، ص١٢٣١؛ الصفدي، **الوافي**، ج١٣، ص٢٥٤.

(٢) في (ر): «وقد».

(٣) في (ر): «محطاطا».

بنت كـرمٍ غصبوها أُمَّـهـا وأهـانـوهـا بـوطـيٍ بالقدم
ثـمَّ عـادوا أحكموها فيهم ولناهيك بخصمٍ يُحتكم

فاستيقظ فزعًا وقال: والله لا حكّمتهم في أمرٍ نزعه عنهم الإسلام. وأمر[1] بعزل الأقباط جميعهم.

---

(١) في (ر): «فأمر».

وكان الكسائي[1] يُقرئ المأمون

رحمهما الله القرآن من وراء ستارة، فإذا غلط ضرب الكسائي بقضيب على مخدَّة. فبلغ المأمون إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ ﴾ الآية [المائدة: ٥١]، فضرب الكسائي بالقضيب، فظنَّ المأمون أنَّه غلط، فراجع القراءة وقرأ كما قرأ أولاً، فضرب بالقضيب، [١٠/ ب] ففطن المأمون أنَّ مراد الكسائي التنبيه على معنى الآية الشريفة، فأمر أن لا يبقى يهودي ولا نصراني في عملٍ من الأعمال مُتصرِّفًا في أمور الكتابة والتصرُّف.

(١) الكِسَائِيّ: أبو الحسن علي بن حمزة بن عبدالله بن بهمن الأسدي، مولاهم. إمام مشهور في القراءات والنحو، وأحد القراء السبعة. علَّم الرشيد وأبناءه. وتوفي بالري سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٥م. انظر عنه: الخطيب البغدادي، **تاريخ**، ج١٣، ص٣٤٥؛ ابن خلكان، أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج٣، ص٢٩٥؛ اليماني، عبدالباقي بن عبدالمجيد، **إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين**، تحقيق: عبدالمجيد دياب (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص٢١٧؛ الذهبي، محمد بن أحمد، **طبقات القراء**، تحقيق: أحمد خان (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج١، ص١٤٩.

وفي أيام هارون الرشيد

وُلِّيَ الفضل بن يحيى[١] خراسان، وجعفر[٢] أخوه ديوان الخاتم[٣]. عمَّرا الجوامع والمساجد والمرافق والصَّهاريج للسبيل، والمكاتيب[٤] لأيتام المسلمين وأجريا لهم الأرزاق. وصرف كل منهما الذمَّة عن الدواوين والمناصب. وخرَّب الفضل معاقلهم ومعابدهم بخراسان، وأمر بأن لا يُمكَّنوا من بياض شيء مما بقي من كنائسهم لئلاّ يتشبَّهوا بمساجد المسلمين في البلاد.

وذكر عمرو بن عبدالله

قال: استدعاني المأمون عندما تظلَّم المسلمون من الأقباط بمصر، فقال: يا عمر[و]، أتعرف من أين أصل القبط؟ فقلت: هم بقيَّة قوم [١١/أ] الفراعنة الذين كانوا بمصر. فقال: صِفْ لي [٥] كيف [٥] كان أمرهم. فقلت: يا أمير المؤمنين، لما أخذ الفرس المُلك من أيدي الفراعنة قتلوا القبط ولم يبق منهم إلاّ من هرب

---

(١) الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي، رضيع الرشيد ووزيره، وواليه على جميع المشرق. مات في الحبس سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨م، وقيل ١٩٢هـ/ ٨٠٧م، بعد غضب الرشيد على البرامكة. انظر عنه: الخطيب البغدادي، **تاريخ**، ج١٤، ص٢٩٢؛ ابن خلكان، **وفيات**، ج٤، ص٢٧؛ الذهبي، **سير**، ج٩، ص٩١.

(٢) جعفر بن يحيى البرمكي، أخو الفضل المتقدم. ولي الوزارة للرشيد بعد أخيه، وولاه الرشيد على جميع المغرب. ثم غضب عليه، ونكب البرامكة بسببه، وقتله عام ١٨٧هـ/ ٨٠٣م. انظر عنه: الخطيب البغدادي، **تاريخ**، ج٨، ص٣٠؛ ابن خلكان، **وفيات**، ج١، ص٣٢٨؛ الذهبي، **سير**، ج٩، ص٥٩.

(٣) ديوان الخاتم: هو القائم على إنفاذ كتب الخليفة، وهو خاص بديوان الرسائل، ورئيسه هو الوزير في الدولة العباسية. للمزيد راجع: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٦، ص٣٥٥-٣٥٦.

(٤) في (ر): «والمكاتب».

(٥) سقطت من (ر).

واختفى بأضنا[١] والأقصرين، وتعلَّموا الطِّبّ والكتابة، ثم توصَّلوا وخدم أكابرهم الفُرس أطبَّاءً وكُتَّابًا. ثمّ تحيَّلوا وكاتبوا الروم بأمور الفرس وعِدَّةِ جيشهم، وأطلعوهم على بواطن أمور يتملَّكون بها الديار المصرية، وحرَّضوا[٢] الروم على وصولهم وتملُّكهم البلاد، وبيَّنوا لهم أسباب التوصّل إلى المُلك. فجمع ملوك الروم وحشدوا وقصدوا البلاد وملكوها وعمِلوا على قتل ملوك الفرس ورعاياهم، وأقاموا كلمة التثليث، وتمكّنوا من الاستيلاء على البلاد ونالوا بمكرهم مقاصدهم وقلعوا مُلك الفرس. وفيهم يقول بعض الشعراء:[٣]

لُعن النصارى واليهود فإنَّهم[٣] بلغوا بنا من دهرنا الآمالا
خرجوا أطباءً وكُتَّابًا لئن يتناهبوا الأرواح والأموالا

(١) عند ابن القيم: «أَنْصِنَا» وهي بلدة من بلاد الصعيد، شرقي النيل. راجع ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**، ج١، ص ٤٦٦؛ الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٢٦٥.

(٢) في (ر): «وحرصوا».

(٣) في (ر): «فكأنهم».

وفي أيام المهدي اجتمع إلى بعض الزهاد

[١١/ ب] جماعة من المسلمين وتظلَّموا من النصارى، وكان ذلك الزَّاهد يغشى مجلس المهدي، وسألوه الحديث في أمرهم فإنَّهم ما بين مظلوم في نفسه ومظلوم في ماله، فالمظلوم في نفسه من يُصْرَفُ من شُغل ويُصَرّفُ فيه النصارى، والمظلوم في ماله من يستضعف. فاجتمع ذلك الزَّاهد بالمهدي وقصَّ على المهدي ما ذكره الناس، وأنشده:

بأبي وأمي ضاعت الأحلام أم ضلّت الأذهان والأفهام
من ضلَّ عن دين النبي محمد أَلَهُ بأمر المسلمين قيام؟
إن لم تكن أسيافهم مشهورة فينا فإن سيوفَهم أقلام

ورأى الحاكم المُنتسب إلى الفاطميين

في منامه كأنَّ الباري عزَّ وجلّ في صورة إنسان محمول على الأيدي إلى أن وصل إلى باب القصر فمات. ففسَّره لنفسه وقال: الحق يكون في الدنيا كلّها حتى إذا وصل إلينا بطل؟ فاحتسب على نفسه وأهله، ثمّ احتسب على اليهود والنصارى، وأمر بهدم كنيسة قُمَامَة[1] [١٢/ أ] بالقدس الشريف، وكَتَبَ: أمرت حضرة الإمامة بهدم قُمَامَة، فليُجعل سماؤها أرضًا وطولها عرضًا. وهدم الدير المعروف بالقُصَيْر[2]. وأمر بهدم كنيسة عظيمة بدمياط وذلك في سابع عشر

(١) المقصود هنا كنيسة القيامة ببيت المقدس. وقد درجت المصادر الإسلامية في تلك الفترة على تسميتها بما سماها المؤلف.

(٢) دير القُصَيْر: قريب من الفسطاط. وهو على رأس جبل المقطم مشرف على النيل. وهو الدير الذي اختفى عنده الحاكم بأمر الله الفاطمي. انظر عنه: الشابشتي، علي بن محمد، **الديارات**، تحقيق: كوركيس عواد (دمشق: المدى، ٢٠٠٨م)، ص٣١٩؛ الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص٥٢٦؛ المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٢، ص٥٠٢.

شعبان سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة[١]. وأمر بإهانة اليهود والنصارى، وحرَّم عليهم الكتابة، وأن لا يطبُّوا[٢] أحدًا من المسلمين، ولا يركب أحد منهم فرسًا ولا بغلاً، ولا يركب حمارًا إلا ببرذعة، ولا يُسَمَّى أحدٌ من النصارى أبا شاكر ولا أبا الفضل ولا أبا الفتوح، ولا يلبس نساء النصارى واليهود خفافًا بل السَّرَامِيز[٣]، أحدهما حمراء والأخرى سوداء، ولا يَدخلنَّ نساؤهم الحمامات إلاّ وفي[٤] رقابهم [كذا][٥] صلبان الخشب وقُرَّم[٦] لليهود، وكذلك رجالهم، ويكون وزن الصليب والقُرمَةُ أربعة أرطال[٧]. وأظهر الخبر المُستفاض بين العالم: اليهود والنصارى خوَنَة، لعن الله من ألبسهم ثوب عزٍّ نزعه عنهم الإسلام. وأمر أن يُبنى

---

(١) الأرجح أن هذه الإجراءات تمت عام ٣٩٨ هـ / ١٠٠٨م فيما يخص كنيسة القيامة، وعام ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م فيما يخص دير القصير. راجع: المقريزي، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، (ج٢ ،٣)، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م)، ص٧٤، ٨١؛ ابن الأثير، علي بن محمد، **الكامل في التاريخ** (بيروت: دار صادر، د.ت، طبعة مصورة عن طبعة لايدن: بريل)، ج٩، ص٢٠٨؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج٨، ص٦٩٢.

(٢) في (ر): «يطببوا».

(٣) السُرْمُوزَة: كلمة فارسية في أصلها، وقد تلفظها العامة (سرموجه) و (سرموج). وهي نوع من الأحذية. راجع: الخفاجي، أحمد بن محمد، **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل** (مصر: المطبعة الوهبية، ١٣٨٢ هـ)، ص١٢٧.

(٤) في (ر): «في».

(٥) صحتها: رقابهن.

(٦) القُرْمَة: خشبة مدوّرة تعلّق على الرقبة. راجع: المقريزي، **المواعظ**، ج٢، ص٤٩٥؛ دوزي، رينهارت، **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة: محمد سليم النعيمي وآخرين (العراق: وزارة الثقافة والإعلام، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٧٨-٢٠٠١م)، ج٨، ص٢٤٩.

(٧) راجع: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٢، ص٩٣-٩٤، فيه اختلاف في التفاصيل.

إلـى جانب كل كنيسـة بالديَّار المصرية مسـجدًا [كـذا][١] ومئذنة [١٢/ ب] وأن يُعَلَّى[كذا][٢] المئذنة على عمارة الكنيسة بحيث تكشف الكنيسة، وكذلك في كل دير من الديرة بنى في باطنه مسـجدًا، ومن جملة ذلك بنى بدير القُصَيْر مسـجدًا[٣] ثـمّ أخفاه النصارى إلى أيام السـلطان الملك الظاهـر رحمه الله، وجرى في أموره وأسبابه ما أرجو أن يسألني مولانا السلطان عنه، ثمّ تقرّر استمراره مسجدًا.

---

(١) صحتها: مسجدٌ.

(٢) صحتها: تُعلَّى.

(٣) راجع: المقريزي، **المواعظ**، ج٢، ص٤٩٥.

وكذلك ظهر في أيام مولانا السلطان

مئذنة في الكنيسة المـُعلَّقة[١] في قصر الشمع بمصر[٢]. فإنَّ النصارى سرقوا المئذنة المذكورة وأخفوها ودَرَّسوها من جهة الكنيسة، وجعلوها من حقوق الكنيسة، وكان باتّفاق مؤذِّن المسجد من مدّة ثلاثين سنة. واتّفق أن مات ذلك المنافق وفوَّض الأذان لغيره[٣]، فوجد صورة خزانة وفيها أثر درج مقطوعة إلى باب مسدود، فأحضر سلّمًا وفتح الباب فوجده إلى المئذنة، فأظهر [١٣/ أ] أمرها وأذَّن فيها؛ فعمل النصارى على المؤذِّن إلى أن ضُرب بالمقارع وصُرف من المسجد، خِدمةً لابن فلان وكاتب فلان. فبلغت القضيَّة للأمير زين الدين كتبغا الصغير المنصوري[٤]، فقام في القضيَّة وأوصل الأمر للأمير حسام الدين طرنطاي المنصوري[٥]، والأمير [٦ زين٦] الدين كتبغا الكبير[٧]، وأُعيد المؤذِّن بمرسوم إلى المسجد المذكور.

---

(١) كنيسة المعلقة: سُميت بذلك لأنها بنيت فوق برجين من أبراج حصن بابليون الروماني. راجع: المقريزي، **المواعظ**، ج٢، ص٥١١.

(٢) قصر الشمع: هو حصن بابليون. راجع: المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٢٨٧؛ الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص٣٥٧.

(٣) في (ر): «بغيره».

(٤) في (ر): «كتبغا المنصوري الصغير».

(٥) الأمير حسام الدين طرنطاي البشمقدار. توفي سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م. انظر عنه: الصفدي، **الوافي**، ج١٦، ص٤٣٠؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر**، ج٢، ص٢١٧.

(٦) سقطت من (ر).

(٧) زين الدين كتبغا المنصوري المغلي، الملك العادل. أُسِرَ حدثًا من عسكر هولاكو، ثم أمَّره أستاذه الملك المنصور قلاوون فكان من أمراء الألوف. ثم أصبح نائبًا للملك الناصر محمد بعد مقتل الأشرف خليل، ولما تحوّل الناصر إلى الكرك، تسلطن كتبغا وتلقّب بالعادل. ثم خُلع، ومات بحماة وهو والٍ عليها سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م. راجع ترجمته في: الصفدي، **الوافي**، ج٢٤، ص٣١٨؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج١، ص٢٥٤.

وفي أيام المأمون العباسي[1]

تقدَّم بعض اليهود إلى أن صار يجلس أعلى من الأشراف، فتحيَّل[2] بعض الفُضلاء وكتب رقعة وصلت إلى المأمون:

يا ابن الذي طَاعَتهُ في الوَرَى وحقّهُ مُفترَضٌ واجبُ
إنَّ الذي تَشرفُ من أجلهِ يزعُم هذا أنَّه كاذبُ

فأجابه المأمون: صدقت وبرَرْت، وغرَّق اليهودي لوقته[3]. وأورد المأمون للحاضرين حديث المقداد بن الأسود الكندي [١٣/ ب] صاحب رسول الله ﷺ، لمَّا سار في بعض أسفاره ورافقه بعض اليهود يومًا كاملاً، فلمَّا انقضى النهار ذكر المقداد رضي الله عنه حديث رسول الله ﷺ: "ما خلا يهودي بمسلم إلاّ وأضمر له غيلة»[4]، فقال المقداد لليهودي: والله ما تُفارقني أو تُعرِّفني ما فعلت معي من

---

(١) في (ر): «المأمون بن العباس».

(٢) في (ر): «فتخيل».

(٣) ترد هذه القصة في المصادر بأساليب مختلفة، وتتغير شخصياتها حسب الحاجة. راجع على سبيل المثال: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٤، ص٢٦٣؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج٣، ص١٢٥-١٢٦؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٨-١٣٩٢هـ/ ١٩٢٩-١٩٧٢م)، ج٥، ص٢٣١.

(٤) يُروى هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه بعدّة طرق. راجع: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم** (القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت)، ج٢، ص٨٥-٨٦؛ الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٩، ص٢٦٠. وقد ضعّفه الألباني: الألباني، محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة** (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج٩، ص٤٣٢.

أذى وإلاّ قتلتك. فقال: ولي الأمان؟ فقال: نعم. فاستوثق يمينًا، ثمّ قال اليهودي: كنت مُذ سايرتك أقصد ظل رأسك فأدوسه بنعلي. فقال المقداد ﷺ: صدق رسول الله ﷺ.

وذُكر أنَّه كان في زمن بعض الملوك

رجل يُعرف بالهاروني من اليهود، وهو عنده بمنزلة رفيعة. فلعب معه في مجلس شرابه بالشطرنج على التمنّي لحاجة في نفسه، فلمَّا غلبه سأل الملك الوفاء، فقال له الملك: سل. فقال: يأمر الملك أن يضع من آي القرآن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، فَضَرَب عنقه لوقته.

[١٤/أ]

وبلغني من أعيان العدول

أنَّ الحكيم موسى مرض فعاده القاضي الفاضل[١]، وكان اليهودي عالمًا فاضلاً، فقال للفاضل: قد وجَبَ حقّك على تَحَبُّري[٢] وزيارتي، وأوصيك أن لا تستطِبّ[٣] يهوديًا، فعندنا مَن حَلَّل السبت استبحنا دمه. فحرَّم القاضي طبّ اليهود، واستخدامهم لذلك.

(١) القاضي الفاضل: محيي الدين أبو علي عبدالرحيم بن علي بن الحسن اللخمي البيساني. صاحب ديوان الإنشاء، ووزير صلاح الدين الأيوبي، وولديه من بعده. توفي سنة ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م. انظر عنه: ابن خلكان، **وفيات**، ج٣، ص١٥٨؛ الحموي، **معجم الأدباء**، ج٤، ص١٥٦٢؛ الصفدي، **الوافي**، ج١٨، ص٣٣٥.

(٢) في (ر): «مجرى».

(٣) في (ر): «تتطب».

وذُكر عن بعض اليهود أنَّه[١]

كان يجبي لبعض المتموّلين [٢] من [٢] المغفّلين، فيُحضر له في الجباية النُّحاس[٣]، فيردّها عليه، فإذا أخذها يقول: لعن الله من دفعها لي، فيظنّ ذلك المُغفّل أنَّ المُراد به غيره.

وبلغني ممّن أثق به

أنَّ اليهودي يكتب ورقةً ويجعلها في عمامته مضمونها لَعْنُ من يلعنه، وشَتْمُ من يشتمه، فإذا لعنه أحدٌ يقول له: لعنتُك على رأسي. وأنَّه يدّخر في بيته خشبتين ويُسمي أحدهما السعادة والأخرى [١٤/ ب] النعمة، فإذا وجَدَ المسلم قال له: صبَّحك الله، أو مسَّاك بالسعادة والنعمة، ومُراده الملعون بالخشبتين المذكورتين.

---

(١) كلمة: «أنه» مكررة في الأصل.

(٢) سقطت من (ر).

(٣) في (ر): «النخاس».

وحكى لي بعض العدول

أنَّ بعض اليهود ببلبيس[١] استأذن للصَّاحب صفي الدين بن شكر[٢] في ضيافة يحضرها له فأذن له، فعمل في بيته ما أمكنه فلمَّا تهيَّأ الطعام قال لزوجته: عملتي الشريعة؟ فقالت: لا، فقال: اعمليها. فدخلت وخرجت ومعها زِبْدِيَّة فيها إراقةٌ[٣]، فجعلت تأخذ بملعقة وترشّه على الزبَّادي والطَّعام، فَوُشي للصاحب بذلك فامتنع وطلب اليهودي واستقرَّه، فقال: نحن معاشر اليهود من حَلَّل السبت استحللنا دمه في شريعتنا، ولمَّا لم نقدر جعلنا في الطّعام بولاً. فَقَتَلَ اليهودي صبراً وأراق الطَّعام.

وكان في زمن الحافظ

(٤ المُنتسب إلى الفاطميين ٤) [١٥/أ] موفَّق الدين بن الخلاَّل[٥]، من أكابر

---

(١) بِلْبِيس: مدينة بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ على طريق الشام. الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٤٧٩؛ المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج١، ص١٨٣.

(٢) الصاحب صفي الدين أبو محمد عبدالله بن علي بن الحسين بن شكر الدميري المالكي، مُحَدِّث. وُزِّر للعادل (٥٩٦-٦١٥هـ/ ١٢٠٠-١٢١٨م)، ثم للكامل (٦١٥-٦٣٥هـ/ ١٢١٨-١٢٣٨م). توفي سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م. راجع: الكتبي، محمد بن شاكر، **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج٢، ص١٩٣؛ ابن نقطة، محمد بن عبدالغني، **تكملة الإكمال**، تحقيق: عبدالقيوم عبد رب النبي (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ج٣، ص٤٣٦؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج١٣، ص٧٠٦.

(٣) المقصود هنا بالإراقة: البول. راجع: دوزي، **تكملة المعاجم**، ج٥، ص٢٥٤.

(٤) سقطت من (ر).

(٥) الموفق أبو الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال، ناظر ديوان الإنشاء بمصر، وشيخ القاضي الفاضل. توفي سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧١م. انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٧، ص٢١٩؛ العماد الأصفهاني، محمد بن محمد، **خريدة القصر وجريدة العصر**:

العلماء الذي وَرَدَ عليه القاضي الفاضل وكان من أكابر الرؤساء والفضلاء، وكان يتحدَّث في أمر الدواوين والإنشاء، وكان من سنن ملوك مصر أن لا إقطاع لأحد من الجند، (١ بل ١) يُنفق فيه من الخزانة كعوائد العراق، وأنَّه عند تَخَضُّر البلاد ينـدب موفَّق الدين(٢)، ومن هو في منصبه، من فيه نباهةٌ ومعرفةٌ من الجند، ومعه من العدول الموثوق بهم، ومن كُتَّاب النَّصارى من شُهر بكتابةٍ ومعرفةِ المساحةِ إلى كُلِّ إقليم من الممالك المصريّة لتحرير ما رُوِيَ من البلاد وما زُرِعَ فيها من أصناف الزِّراعات على اختلافها، ويُعمل بذلك مُكلَّفاتٌ(٣) مستقصاة الشروح بالقطائع والفُدُن، وَتخلّد الدواوين بالباب، فإذا مضى من السَّنة أربعة شهور نُدِبَ غير أولئك من الجُند مَن فيه حماسةٌ وهِمَّة وبَطْشٌ، ومن الكُتَّاب المسلمين من فيه أمانة ومعرفة بمُستخرَج الأموال، وبعض كُتَّاب النصارى لاستخراج ثُلث المال المُتَعَيَّن [١٥/ ب] ليُحمل لنفقات الجُند. فنُدب إلى بعض البلاد من يمسحها على العوائد فتوجَّه الشادّ(٤) والناظر(٥) والعدول، واعتذر النصراني بعُذرٍ

قسم شعراء مصر، تحقيق: أحمد أمين وآخرين (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ت)، ج١، ص٢٣٥؛ الصفدي، **الوافي**، ج٢٩، ص٣٢٢؛ الذهبي، **سير**، ج٢٠، ص٥٠٥.

(١) سقطت من (ر).

(٢) المقصود ابن الخلال.

(٣) المُكَلَّفَة: أوراق يسجَّل فيها مساحات الأراضي، وأنواع المزروعات، وأسماء المزارعين. وهي لضبط سجلات الخراج. راجع: النويري، **نهاية الأرب**، ج٨، ص٢٥٠.

(٤) الشادّ، والمشَدّ: هو أشبه ما يكون بالمفتش على الجهة التي يتولاها. راجع: النويري، **نهاية الأرب**، ج٨، ص٢٩٨.

(٥) الناظر: المسؤول عن كل ما يجري في الجهة التي يتبع لها، من الوارد والمنصرف. فكأنه مدير الإدارة المالية في عرفنا اليوم. راجع: ابن مماتي، **قوانين**، ص٢٩٨؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٥، ص٤٦٥؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٨، ص٢٩٩.

يعوقه ويلحقهم ثاني يوم سفرهم، فتقدَّمه[١] المذكورون وتَبِعَهُم، فلمّا وصل تُجاه بلدٍ وأراد التَّعدية في معدِّية ذلك البلد، فلما وصل البرّ طلب صاحب المعديّة[٢] الأجرة، فنفر فيه النصراني وشتمه وأغلظ عليه قائلاً: أنا ماسح[٣] هذه البلدة تطلبني بحقّ المعديّة. فأجابه: إن كان لي زراعة خُذها، وأخذ لجام دابَّة ذلك النصراني فأعطاه أُجرته واستعاد اللجام. فلمّا مسح البلدة سَدَّ[٤] جُملة المُكَلَّفَةِ بزايد عشرين فدَّانًا وترك في ورقةٍ من الأوراق بياضًا، فلمّا قُوبلت كتب العدول عليها، فأخذها النصراني ليكتب عليها، فكتب في ذلك البياض أرض اللّجام باسم صاحب المعديّة عشرون فدّانًا كِتّانًا قطيعة[٥] أربعة دنانير الفدَّان، وحُملت المُكَلَّفَةُ إلى ديوان الباب، وانقضت مُدّة المُهلة [١٦/أ] واستحقّ طلب الخراج، فَنُدِبَ من جرت العادة به لاستخراج المال، فوصلوا البلدة المذكورة وطلبوا أرباب الزراعات، فَطُلِبَ صاحب المعديّة بثُلث المال وهو ستّة وعشرون دينارًا، فامتنع قائلاً: إن كان لي زرعًا خذوه، فلم يُسمع منه وضربه المُشِدُّ بالمقارع واستشهد بالمُكَلَّفَة وخطوط العدول عليها، وبيَّعه المعديّة وغيرها وأُخذ منه المبلغ، فهرب ذلك المظلوم خوفًا من طلبه بالباقي وحضر إلى القاهرة شارحًا أمره لمعارفه طالبًا الإعانة بإشارتهم كيف الخلاص، فقال له أحد الناس:

---

(١) في (ر): «فتقدمت».

(٢) قارب يُعدى به النهر. راجع: دوزي، **تكملة المعاجم**، ج٧، ص ١٦١.

(٣) الماسح: الشخص المنوط به قياس الأراضي الزراعية وعمل المكلفات الرسمية. راجع: ابن مماتي، **قوانين**، ص٣٠٥؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٥، ص٤٦٦.

(٤) في (ر): «شد».

(٥) القطيعة: الضريبة.

للخليفة عادة أن يجلس عند المُسَبِّح في السفينة[١] وهي[٢] مَنْظَرة بباب القصر، ويأتيه المُتَظَلِّم، ويُعلن[٣] في ذلك الوقت قائلاً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، عليّ وليّ الله. فيسمع الخليفة كلامه، فيأمر بما يُقدِّره الله تعالى على يده ولسانه من إحضار الشَّاكي إلى بين يديه، وسماع كلامه أو تفويض أمره لوزيرٍ أو قاضٍ أو والي[كذا][٤]. فبكَّر ذلك المظلوم إلى تجاه السّفينة، وأعلن بتلك الكلمات، فاستدعاه [١٦/ ب] الخليفة وسمع كلامه واستوضح أمره وطلب موفَّق الدين ابن الخلاَّل واستحضر مُكَلَّفَات[٥] ذلك البلد لعدَّة سنين مُتقدِّمة وتُصفِّحت وكُشفت سنة سنة، فلم يُوجد لأرض اللّجام ذِكرًا، فأمر الحافظ بإحضار ذلك النصراني ورسم بتسميره[٦] في مركبٍ، وأن يُطعم أنواع الأطعمة وأمراق الدجاج،

(١) السفينة: بظهر درب السلامي، بآخر رحبة العيد بالقاهرة. وقد وردت في نسخة بولاق من خطط المقريزي مُحَرَّفة هكذا (السقيفة)، وهو خطأ كما بيّنه أيمن فؤاد سيد، في تحقيقه لمسودة الخطط. فقد رآها بخط المؤلف في المسودة (السفينة). انظر: المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠٥-٤٠٦؛ **مسودة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، تحقيق: أيمن فؤاد سيد (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ص١١٩. وأقول: ووردت مرة أخرى في طبعة بولاق باسمها الصحيح عند ذكر الأخطاط (خُطُّ السفينة)، فقال: «كان يقف فيه المتظلمون للخليفة كما تقدّم ذكره». انظر: المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٣٦.

(٢) في (ر): «وبنى».

(٣) في (ر): «ويلعن».

(٤) صحتها: والٍ.

(٥) في (ر): «محلفات».

(٦) التسمير: هي أن تثبت يدي المصلوب -وأحيانًا رجليه أيضًا- بالمسامير على خشبة أو جدار، ويعلّق هكذا إلى أن يتلف، أو يُعفى عنه قبلها. ولعل أول من اشتهر بتطبيقها في التاريخ الإسلامي بشر بن مروان بن الحكم (ت ٧٥هـ/ ٦٩٤م)، إذ نقل ابن خلدون أن بشرًا أضاف عقوبة لمن يتخلف عن البعث وهي: «تعليق الرجل بمسمارين في يده في حائط فيخرق المسماران يده وربما مات». ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، **تاريخ ابن خلدون**

ويُسقى أطيب الأشربة الممسكة، ويُشهَّر به في الممالك المصرية. وبرّزت أوامر الحافظ شامًا ومصرًا بكفِّ يد الذمَّة عن المُباشرات، واستمرَّ ذلك الأمر وضاق النصارى منه وهلكوا إلى أن اتّخذ الحافظ مُنجّمًا حاذقًا وارتبط عليه، وجعل حركاته مُناطة برأي ذلك المنجِّم في كبير أمره وصغيره، فأعمل الحيلة جماعة من أعيان النصارى وأتوا ذلك المنجِّم وبذلوا له ألفي دينار عينًا وأحضروا له شخصًا من النصارى يُعرف بالأخرم ابن (١ أبي ١) زَكرِّي(٢)، وقالوا: تذكر حِليَةَ هذا في أحكام طلوع الشعرى اليمانية ولا تذكر اسمه، وتقول: إنَّه يدل على أنَّه إن(٣) وَلِيَ شخص من النصارى، وتذكر صفات هذا ابن أبي زَكَرِّي، [١٧/أ] زاد النيل عن عادته ونَمَت الارتفاعات وزَكَت الأغنام والزِّراعات وكثُر صيد البحر من البوري والأسماك وقَدِمَت التُجَّار برًّا وبحرًا، وجَرَت قوانين المَلِك على أجمل الأوضاع وأحسن الأحوال. فعمل ذلك الكلب المُنجِّم أكثر مما اقتُرح عليه من ذلك البُهتان والمُحال. فعندما وقف الحافظ الدُبُّ [كذا] على

المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م)، ج٣، ص٤٢. وقد يُسمَّر المعاقب أيضًا على خشبة ويُعلّق على الجمال، أو في السفن، كما حدث في هذه الرواية. راجع: الصيرفي، علي بن داود، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، تحقيق: حسن حبشي (الجمهورية العربية المتحدة: دار الكتب، ١٩٧٠م)، ج١، ص١٣٠.

(١) سقطت من (ر).

(٢) صنيعة الخلافة الأكرم يحيى بن هبة الله بن مينا بن أبي زكري، أو ذكري، كما ورد في المصادر النصرانية، وما (الأخرم) إلا تحريف للاسم لغرض التحقير، كما سبق ورأينا في تحريف اسم (كنيسة القيامة) إلى القمامة. ورد في المصادر أنه تولى عدة دواوين بين أعوام (٥٣٠-٥٤٢هـ/ ١١٣٦-١١٤٧م). انظر عنه: أبو المكارم سعد الله، **تاريخ الكنائس والأديرة في القرن ١٢ بالوجه البحري**، تحقيق: الأنبا صموئيل (د.م: د.ن، د.ت)، ج١، ص٢؛ مبارك، علي، **الخطط التوفيقية** (بولاق: المطبعة الأميرية، ١٣٠٥هـ)، ج٦، ص٧٤.

(٣) في (ر): «أنه ون».

أحكامه عند طلوع الشعرى أمر بإحضار أعيان النصارى، وتصفَّح حُلاهم، والنصارى يُؤخِّرون إحضار ابن أبي زَكَرِّي مُدَّة أيام، واشتدّ طلب ذلك الملعون إلى أن أُحضر وتمثَّل بين يدي الحافظ، فولاّه الأمر، وعزل موفَّق الدين المسلم الفاضل الأمين بذلك الكلب الخائن. فأعاد استخدام القبط على ما كانوا عليه، وأظهروا التكبُّر والتجبُّر على المسلمين، وتظاهروا بحسن الملابس الفاخرة وركوب البغال والخيول المسوّمة، وضايقوا المسلمين في أرزاقهم، إلى أن وُلِّيَ منهم النُظَّار وأصحاب الدواوين حتّى في الأحباس الدينيّة والأوقاف [١٧/ ب] الشرعيّة، واتخذوا المماليك والعبيد والجوار[ي] من المسلمين والمسلمات، وصودر بعض المسلمين وبيعت بناته في المصادرة من ظلم ابن دُخَّان[١] لعنه الله، واشتراهم بعض النصارى وتملّكهم، فعمل بعض الفضلاء فيه[٢]:[٣]

إذا حَكَم النصارى في الفُرُوج وغالوا بالبغال[٣] وبالسُّروج
وذَلَّت دولة الإسلام طُرًّا وصار الأمر في أيدي العلوج
فقل للأعور الدّجال هذا زمانك إن عزمت على الخروج

(١) خاصة الدولة أبو الفضائل ابن دُخَّان، يسميه عمارة اليمني «صاحب الديوان». متولٍ في عهد العاضد الفاطمي (٥٥٥-٥٦٧هـ/ ١١٦٠-١١٧١م)، ووزيره شاور -الآتية ترجمته-. انظر: الأرمني، أبو صالح، **تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني** (أوكسفرد: المطبعة المدرسية، ١٨٩٤م)، ص٤١؛ اليمني، عمارة بن علي، **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية**، تحقيق: هرتويغ درنبرغ، ط٢ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، نسخة مصورة عن طبعة فرنسا: مرسو، ١٨٩٧م)، ص٩٠.

(٢) وردت القصة بتمامها عند المقريزي، انظر: **المواعظ**، ج١، ص٤٠٥-٤٠٦.

(٣) في (ر): «بالنعال».

واستمرّ أمر ذلك الملعون والنصارى إلى أيام العاضد المُنتسب للفاطميين، ونبغ في زمنه أبو الفضل[١] بن دُخَان النصراني، واستولى على عقل العاضد وشاع نفاذ أمره أكثر من ابن أبي زَكَرِي، واستولى على الدولة بجهل القريبين من العاضد، وعدم معرفتهم. إلى أن أسلم في تلك الأيام بعض النصارى وأقام على الإسلام مُدَّة ثمّ ارتدّ، فاستنجز ذلك الملعون ابن دخان أمر العاضد بأن [١٨/أ] يستمرّ نصرانيـاً ولا يُعارض. وأن الحاكم في ذلك الزمان أنكر ذلك وأرصد جماعة لإحضار ذلك المُرتدّ إليه ليقتله، فوشى النصارى لابن دخان بذلك، فدخل جامع مصر واعتبر حواصله وَعَجّزَ بعض أطباق القناديل ورسَّم[٢] على القاضي، وأشاع أنَّ القاضي [قد] خان، وأخذ آلات الجامع. واتّفق عقيب ذلك أنَّ الشيخ زين الدين بن نجا الواعظ الحنبلي[٣] دخل البلاد وبلغته صورة ما اعتمده ذلك الملعون ابن دخان في أمر النصراني المُرتدّ، وما عمله مع القاضي، وكان زين الدين المذكور له قدر كبير عند الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله، فأمر العاضد للواعظ المذكور أن يجلس في جامع مصر ويتكلّم

(١) هكذا وردت، والصحيح كما ورد في ترجمته السابقة: أبو الفضائل.

(٢) رسَّم عليه: أي عيّن عليه حرّاسًا يراقبونه. راجع: دوزي، **تكملة المعاجم**، ج٥، ص١٣٦.

(٣) أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الدمشقي، نزيل مصر. بعثه نور الدين محمود زنكي رسولاً إلى بغداد سنة ٥٦٤ هـ/ ١١٦٩م. وكان يعظ في مسجد القرافة. قال أبو شامة: كان صلاح الدين يُكاتبه، ويحضر مجلسه هو وأولاده. وقال ناصح الدين: كان أهل السنّة بمصر لا يخرجون عمّا يراه لهم زين الدين وكثير من أرباب الدولة. توفي في القاهرة في رمضان سنة ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٣م. انظر: ابن رجب، عبدالرحمن بن أحمد، **الذيل على طبقات الحنابلة**، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م)، ج٢، ص٥٢٨؛ أبو شامة، عبدالرحمن بن إسماعيل، **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: إبراهيم الزيبق (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج٣، ص٢١٣ وما بعدها؛ ابن العماد، **شذرات**، ج٦، ص٥٥٤.

على عادته، فاحتفل الخَوَاصُّ من أصحاب العاضد وأقاربه والعلماء والقضاة والأمراء والجند والعوام، وقرّر الشيخ زين الدين مع القُراء بين يديه أن يفتتحوا بين يديه بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي [١٨/ ب] ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠].

فشرع الشيخ زين الدين يذكر كلما يُمكن من رداءة الدخان وما يتفرّع منه من الأذى للعيون والأدمغة وفساد الأمزجة وما يدخل في هذا الباب، ثم انتقل إلى ذمّ النصارى وفساد اعتقادهم وإجماعهم على ربوبيته [كذا][1] من قُتل وصُلب وقُبر، وبيّن اختلالهم في أمر النار المصنوعة في قُمامة بيت المقدس[2]، وضلالهم بقولهم: إنّه نور ينزل على قبر المصلوب. وخطّأ الملوك وقبّح على وزرائهم ونوّابهم استعمالهم في أمر الحساب والأموال، وأقام الدليل على أنّ من استخدمهم خالف الله عزّ وجلّ بما ورد في القرآن الشريف في أمرهم، وما ذكره رسول الله ﷺ، وما اعتمده الخلفاء الراشدون. ثم ذكر أنّ من يقول: الأب والابن وروح القدس إله واحد، وأنشد:

كيف يدري الحساب من   جعل الله ثلاثًا بزعمه وهو واحد

[١٩/أ]

وتوّسع في الطعن على أنسابهم وقلّة نخوتهم لأكلهم لحوم الخنازير ومُلازمتهم لشرب الخمور مع نسوانهم وبناتهم وأقاربهم من الرجال والشباب، ونومهم في مكان الشرب ليلاً في اختلاط الرجال مع النساء. وأنشد أبيات عمارة اليمني[3] في

(١) صحتها: ربوبية.

(٢) المقصود هنا كنيسة القيامة، كما سبقت الإشارة.

(٣) أبو محمد عمارة بن علي بن ريدان أو زيدان بن أحمد الحكمي المذحجي اليمني، الشاعر المشهور. شُنق في القاهرة سنة ٥٦٩هـ مع جماعة اتُهموا بالتآمر لإعادة الدولة الفاطمية.

ابن دخان عندما نَكَّدَ[١] عليه في أمر جامْكِيَّته[٢]:

قل لابن دخان إذا جئته ووجهه يندى من القَرقَفِ
في حَرم جاريَّ ولو أنه أضعاف ما في سورة الزخرف
واصفع قفا الذل ولو أنه بين قفا القسيس والأسقف
ملكك الدهر سبال الورى فاحلق لحاهم عامدًا وانتف
واكسب وحصّل وادّخر واكتنز واسرق وخُن وابطش وخُذ واخطف
وابك وقُل ما صحّ لي درهم فَرْدٌ وصَلِّب وابتهل واحلف
واغتنم الفترة من قبل أن يرتفع[٣] الإنجيل بالمصحف[٤]

(٤)(٣)

[١٩/ب]

انظر: العماد الأصفهاني، محمد بن محمد، **خريدة القصر وجريدة العصر: قسم شعراء بلاد الشام**، تحقيق: شكري فيصل (دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، ج٣، ص١٠١؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص٢٨٢ وما بعدها؛ ابن خلكان، **وفيات**، ج٣، ص٤٣١؛ الذهبي، **سير**، ج٢٠، ص٥٩٢؛ الصفدي، **الوافي**، ج٢٢، ص٣٨٤؛ ابن العماد، **شذرات**، ج٦، ص٣٨٧.

(١) في (ر): «نكر».

(٢) الجَامْكِيَّة: الراتب، وهو تعريب (جَامَكِي) لفظ مركّب من (جَامَه) أي قيمة، و(كِي) وهو أداة النسبة. راجع: شير، ادي، **الألفاظ الفارسية المعربة** (القاهرة: دار العرب، ١٩٨٧-١٩٨٨م)، ص٤٥.

(٣) في (ر): «نفع».

(٤) راجع القصيدة في: اليمني، **النكت العصرية**، ص ٢٩٤. وفي بعض كلماتها اختلاف.

وذكر حديث النصراني المُرتدّ وتجرّيه على القاضي. فنُقل المجلس إلى العاضد، فأمر بإمساك ابن دخان ونهب داره، فوُجِدَ فيها مئة وخمسة وعشرين [كذا][١] كتابًا بالقلم الفرنجي، وحُملت إلى شاور وزير العاضد[٢]، فأحضر التراجمة وقرؤوها فكانت من الفرنج بعكَّة وصور وقُبرص، أجوبةً عن كُتُبِ الملعون إليهم التي يخبرهم فيها بأحوال البلاد، وضعف العساكر وقِلَّة حُرمة العاضد ويُطمعهم فيه ويحثّ الملك مُرِي[٣] على سُرعة حضوره للممالك المصرية ويُوَشّح[٤] ويَمُتُّ[٥] أنَّه يُهين المسلمين، ويرفع كلمة النصارى، ورفع شأن القسيس والرهبان، وترميم الكنائس وعمارة أوقافها والمساعدة على [٦]نُموّ[٦] الأُجَر وزيادتها. وأنَّهم شكروه على ذلك وأثنوا عليه، وعرّفوه أنَّهم على عزم الخروج والوصول إلى الديار المصرية. فقُتل ابن دخان لوقته، وأمر العاضد بأن يُستعاد من النصارى جامكياتهم وجراياتهم لخمس سنين، وأن لا يُترك لأحدٍ [٢٠/ أ] منهم إلى شَهرٍ واحدٍ الدرهم الفرد، ومتى عجز يُقتل ويُمثَّل به. ولم تنقضِ تلك السنة إلى أن جمع الملك مُرِّي الفرنجي جموعًا كثيرةً، وقصد الديار المصرية. وقتل كل من في بلبيس أخذًا لثأر ابن دخان. ونزل شاور إلى

---

(١) صحتها: وعشرون.

(٢) أبو شجاع شاور بن مُجير السَّعدي الهوازني، وزّره العاضد بعد أن قتل رُزِّيك بن الصالح. قتله أسد الدين شيركوه وتولى الوزارة من بعده سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م. انظر: ابن خلكان، **وفيات**، ج٢، ص٤٣٩؛ الذهبي، **سير**، ج٢٠، ص٥١٤؛ الصفدي، **الوافي**، ج١٦، ص٩٥.

(٣) المقصود هنا: عموري الأول (Amalric I)، ملك مملكة بيت المقدس الصليبية (١١٦٣-١١٧٤م).

(٤) وشَّحَ له الشيء: زيَّنه له. راجع: دوزي، **تكملة المعاجم**، ج١١، ص١٤٦.

(٥) يَمُتُّ: أي يتوسَّل. راجع: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص٨٨ (متت).

(٦) سقطت من (ر).

مدينة مصر ومعه جماعة من القصريّة، وأحرق أدُرَ[١] النصارى، وقتل ونهب. فلمّا انتقل المُلك إلى السلطان الملك الناصر صلاح الدين -رحمه الله تعالى- تحيّل النصارى على أمرائه الأكراد واستعانوا بمن أسلم منهم ظاهرًا إلى أن أُعيدوا إلى الخِدَم، وأوهموا الأكاريد الجُهّال[٢] أنَّ المسلمين عاجزون عن صناعة الكتابة، وأنَّهم يُضيّعون الأموال، واستولوا بمكرهم على البلاد والأعمال، ونهبوا أموال بيت المال وأخباز الجُند والأمراء، وتأخّر كُتَّاب الإسلام الأُمناء الفُضلاء. فعمل بعض الفُضلاء:

بری جسدي حُمق النصارى بجهلهم وأنفهم العالي على كل مسلم
وشنُّهم الغارات في المال ظاهرًا ولا يتّقون الصَّفع في ربع درهم

[٢٠/ب]

ترى كل قبطيٍ لدى اللّف عنترًا وأقلامه تربو على كل لهذَم
ففازوا من الدنيا بما يطلبونه ومثواهم في الحشر نار جهنّم

واستمرّ أمر النصارى في التصرّف في البلاد والعباد، والعمل على أرواح المسلمين وأموالهم ومناصبهم.

(١) في (ر): «أدد».

(٢) في (ر): «الأكاريد والجهال».

وفي أيام السلطان الملك الصالح

نجم الدين أيوب[١] -رحمه الله وغفر له- دخل بعض المسلمين سوق التُجّار ومعه حُجّة على بعض الجند بمالٍ، مُسطّرة تحتاج إلى الشهادة. فوجد نصرانيين عليهما البَقَاييْر[٢]، والأثواب الواسعة الأكمام كلباس عدول المسلمين، فغلب على ظنّه أنّهما من العدول، فقدَّم الحجَّة فشهدا[٣] فيها استهزاءً بالمسلمين، ونُقل ذلك إلى السلطان الملك الصالح -رحمه الله- فأمر بأن تَرفَع النصارى[٤] العَذَب[٥] ويشدّوا الزَّنَانِيْر[٦]، وأن يلبسوا الغِيَار[٧]، ويُمنعوا من التشبّه بالمسلمين، وأن يُنزلوا حيث أنزلهم الله من الذُّلّ والصَّغار. ثم شرعوا في التقدُّم والازدياد من أوَّل [٢١/ أ] دولة المُعِزّ، بطريق أنّه كل أميرٍ متميّزٍ في كل دولةٍ لا بُدّ له من كُوَيتِبٍ نصراني، وأنَّه بمقدار ما يُنتشأ من مماليك سلطان الوقت من تلوح عليه

---

(١) الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ناصر الدين محمد بن العادل سيف الدين أبي بكر بن نجم الدين أيوب بن شادي الأيوبي. تولى السلطنة سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م، وهو من أنشأ المماليك الأتراك وأمّرهم في مصر. توفي سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م في المنصورة. انظر: أبو الفداء، **المختصر**، ج٣، ص١٧٩؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج١٤، ص٥٦٢؛ **سير أعلام النبلاء**، ج٢٣، ص١٨٧.

(٢) جمع بَقْيَار: وهو ضرب من العمائم. راجع: دوزي، **تكملة المعاجم**، ج١، ص٤٠٧.

(٣) في (ر): «فشهد».

(٤) في (ر): «النصار».

(٥) العَذَبُ: جمع عَذَبَة، وهي طرف العمامة، وما سُدِلَ بين الكتفين منها. راجع: الزبيدي، **تاج العروس**، ج٣، ص٣٢٨ (ع ذ ب).

(٦) جمع الزُّنَّار: وهو ما يلبسه الذمي، يشده على وسطه. راجع: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص٣٣٠ (زنر)؛ الزبيدي، **تاج العروس**، ج١١، ص٤٥٢ (ز ن ر).

(٧) الغِيَار: هي علامة أهل الذمّة كالزنّار وغيره. راجع: الزبيدي، **تاج العروس**، ج١٣، ص٢٨٩.

أمارات السعادة والإمارة تعلّق عليه بعض أولاد النصارى بعناية كتّاب الأمراء خوشداشيّة[١] ذلك الأمير وخدمه، وهو لا إمرة له ولا إقطاع، وخَدَمَه ولازَمَه وأوجب حقّه عليه. [٢ فإذا٢] أُمِّرَ استجدَّ مماليكَ، وجعل منهم الخزندار[٣] والأستاذ الدار[٤]، فيشرع ذلك الكُوَيتِب في التحيّل بأنواع الحيل على كلٍّ من أولئك، كشرب خمرٍ وضيافةٍ واستحسانٍ بما لا يُمكن ذكره وما يتبع ذلك، ثم يُرغّبه[٥] في زيادة مالٍ وإنشاء مِلْكٍ وتجديد سواقي ووسايا[٦] وتوسيع دائرة وتكثير[٧] كُلفةٍ، فيضطر إلى الطمع والموافقة على الخيانة ونهب مال أستاذه وإشراك ذلك الملعون معه. وتارةً بالترهيب والتخويف من قوله: إن الأمراء

---

(١) خُوشْداش أو خُشْداش أو خُجْداش: لفظ فارسي أصله (خواجاتاش)، ومعناه الزميل في الخدمة. وهو لفظ يقصد به في العصر المملوكي الأمراء المماليك الذين نشأوا عند سيد واحد، فنمت بينهم رابطة الزمالة. راجع: دوزي، **تكملة المعاجم**، ج٤، ص٢٦.

(٢) سقطت من (ر).

(٣) الخِزَندار: مركب من لفظين: عربي (خزانة)، وفارسي (دار). وهو ممسك الخزانة للأمير أو السلطان والمتولي عليها. راجع: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٥، ص٤٦٢.

(٤) الإسْتَدَّار: لقب من وليَ قبض مال الأمير أو السلطان وصرفه في أوجهه. وهو مركّب من لفظتين فارسيتين: (إستذ) ومعناها الأخذ، و(دار) ومعناها المُمْسِك. فمعناها: المتولي للأخذ. وينبّه القلقشندي على أن كتابتها (أستاذ الدار) - كما وردت عند المؤلف - خطأ، لأن من كتبها هكذا ظن أنها من لفظة (الدار) العربية، و(أستاذ) بمعنى السيد أو الكبير، وليس كذلك. راجع: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٥، ص٤٥٧.

(٥) في (ر): «يغريه».

(٦) الوسايا: جمع وسية، وهي الدار وكل ما يتبع صاحبها من حاشية وأملاك، ولعل المقصود بها الأراضي الزراعية الكبيرة، التي يعمل بها زراع بالأجرة أو السخرة. راجع: زناتي، أنور محمود، **معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية** (عمّان: دار زهران، ٢٠١١م)، ص٤١٨.

(٧) في (ر): «وتكبير».

يُصادرون أستاذ داريّتهم وخزنداريّتهم، ويَضرب له الأمثال بمن اتّفق (١ له١) في ذلك، ومسك أستاذ داره [٢١/ ب] لِدبَرٍ ظهر منه ونهبٍ تحقّقه واشتهر. ويُخيفه من ضربٍ يحلّ به، وعقوبةٍ يقع فيها، وأنّه (٢ متى ٢) لم يكن معه ما يُخلّص به نفسه وإلاّ مات تحت الضرب، فيضطر إلى السرقة والدخول في الخيانة. وممّا وقع لبعض النصارى من كُتّاب الأمراء الكبار، وأعجزته الحيلة مع خزنداره لأمرين: أحدهما قرب عهد الكاتب من خدمة الأمير. والثاني أنّ الخزندار من صغار المماليك المُغْل، لا يتصرّف بنزولٍ ولا ركوبٍ إلاّ مع الأمير. فاتّفق أنّ الأمير سلّم لخزنداره[٣] ثلاثة آلاف درهمٍ، فلمّا فرّغ إنفاقها قال للكاتب: اعمل لنا حسابها لنأخذ خطّ الأمير على العادة بصحّة الإنفاق. فعمل حسبةً وقال له: قد فاض المصروف على الثلاثة آلاف درهمٍ مائتان وخمسون درهمًا. فقال له الخزندار: ذا جيّدٌ لي، فقال له الكاتب: أنت صبيٌّ وما تعرف ما يضرّك مما ينفعك، وأنا صرت رفيقك ووجب حقّك عليّ متى عَمِلتَ [٢٢/ أ] هذه الحسبة ووقف الأمير عليها طالبك في جميع ما أنفقته في كل ثلاثة آلاف درهمٍ بمائتين وخمسين درهمًا، وينسبكَ إلى الخيانة. وخوّفه من الضرب والعزل عن الخزنداريّة، والتأخّر عن رتبته، فألجأه إلى أن دخل في الخيانة وسرقة مال أستاذه. وإنّ أكثر كُتّاب الأمراء يتحيّلون على خادم دار أستاذه الزِّمَّام[٤] بسمامين[٥] فارهةٍ

(١) سقطت من (ر).

(٢) سقطت من (ر).

(٣) في الأصل: «لجزنداره».

(٤) الزِّمَّام دار: تحريف لـ (الزِّنَان دار)، وهو مركب من لفظين فارسيين (زَنَان) ويعني النساء، و (دار) ومعناه الممسك، فيكون معناه: ممسك النساء؛ أي الموكّل بحفظ النساء. إلا أنه أصبح لقبًا لمن يوكل بباب ستارة الأمير من الخدام الخصيان. راجع: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٥، ص٤٥٩. وقد سقطت هذه الكلمة من (ر).

(٥) في (ر): «بسماني».

في الصِّياح، ويُهاديه بكَرٍّ[١] أو سجّادةٍ وما أشبه ذلك، ثم يقول له: تُعرّف الدار خدمتي ومحبّتي للأمير، وأنّي أوفّر عليه وأنصحه وأحفظ ماله وغِلاله. ويتحيَّل[٢] في فضلاتٍ[٣] من تفاصيل سكندري[٤] غالي الثمن من طَرْح مُستحسنٍ مختلف الألوان، ويقول للخادم: تُعرّف الدار أنّ هذا طَرْحٌ جديدٌ خَرجَ، وقد اخترت أن يُعرض على الدار، فأيّ شيء أعجبهم منه أو من غيره يُعرّفوني لأشير على الأمير أن يُسيّر قمحًا من إقطاعه وحواصله إلى سكندريّة [كذا]. فيُرغّبهم الخادم أيضًا بقوله: إنّ دار الأمير الفلاني فصّلوا من هذا، [٢٢/ ب] وهذا يليق بالستّ أن تلبسه. فشُكر ذلك الكلب، ويُقال له: شِر على الأمير بإرسال القمح إلى سكندريّة ونحن نقترح ما نطلبه من الذي يُعجبنا. ثم يجتمع ذلك الكلب بأستاذ دار الأمير ويُشوّقه إلى سكندريّة وطيبتها[٥] وبساتينها وتُحفها وفُرَجِهَا ونُزَهِها ممّا يُوافق أستاذ داره، ويُطمعه بأنواع الأطماع من حصول راحاتٍ وقماشٍ وعشرةٍ وفُرْجَةٍ، ويتّفق معه ويدخل هو وأستاذ داره على الأمير ويقولان: إنّ القمح يسوى في إسكندريّة بالوَرِقِ كذا، والورق كل درهمين ونصف بدرهمٍ نُقْرَة[٦] يتميز في البيع

---

(١) قطعة من القماش الرقيق، تُلفّ وتكوّر كالعمامة. راجع: دوزي، **تكملة المعاجم**، ج٩، ص٥٢.

(٢) في (ر): «وتحيل».

(٣) الفُضلة: البقية من كل شيء، والمقصود بها هنا القطع التي تبقى من طاقة الثوب بعد البيع منها. راجع: عيسوي، عصام أحمد، **معجم ألفاظ الحضارة: دراسة في أركيولوجيا اللغة العربية من خلال الوثائق المصرية «الجزء الأول: الثياب وما يتعلق بها»** (مصر: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م)، ص١٣١.

(٤) التفاصيل السكندرية: قماش يُصنع في الإسكندرية، ونسبته إليها. وكان من أجود أنواع الأقمشة وأغلاها ثمنًا، حتى إنه أصبح من ضمن الجائزة التي يقدمها من تولى السلطنة للخليفة. راجع: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص٢٧٧.

(٥) في (ر): «وطئتها».

(٦) الدراهم النُقرة: ثلثاها فضة، وثلثها نحاس. راجع: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣،

عن هنا جملة كبيرة. ونشتري[١] من سكندريّة قماشًا ونحضره معنا ونضمن للأمير كسب المال بالثلث، سيما إن كان الأمير يمكنه أخذ كتاب السلطان إلى والي إسكندريّة ويرمي القمح على الطحّانين[٢]، فيكسب جملة مُستكثرة[٣]، والدنيا محبوبة، فيأمرهما[٤] الأمير بالرّواح واستصحاب الغلّة للبيع فيتنوّع ذلك الملعون في نهب أموال [٢٣/ أ] مخدومه أنواعًا، واستضعف عقل مخدومه، وانتفع بعناية أهله، ورتّب له أنواعًا من المحبّة، وشرع في نهب مال مخدومه بوجوهٍ كثيرة، منها نهب الغلّة عند الوَسْقِ[٥] في المراكب، وفي أُجَر المراكب، وعند البيع وما يسرقه منه، وفي مُشترى القماش وسرقته في الثمن، وسرقته من القماش عند حضوره. ويستخدم غلمان ذلك الأمير المُقرّبين إليه بهديّةٍ فوطةٍ ومنديل، ويُتقن أمره بما يُحضره وبما أحضره من القماش لدار الأمير، ويتقلّدون المَانَّة بالقماش للشيخ الكاتب كأنّه من ماله، ويستعين بدار الأمير وغلمانه في دفع المضرّات عنه، وتستدّ أبواب من يعرف خيانته من أن يوشي [كذا][٦] بها لمخدومه. ثم يسري الخلل إلى ما يتعلّق بسلطان الزمان، فإنّ كل كاتب من كُتّابِ الأمراء لا بُدّ أن يكون من أولاد كُتّابِ السلطان أو أقاربهم، فمتى حلّت بكاتبٍ من كُتّابِ الدولة كائنةٌ أو

ص٤٣٩.

(١) في (ر): «وتشتري».

(٢) في (ر): «الطحنين».

(٣) في (ر): «خملة مستكرة».

(٤) في (ر): «فيأمرهم».

(٥) الوسق: بمعنى التحميل، أي تحميل الشحنة في المركب. راجع: الزبيدي، **تاج العروس**، ج٢٦، ص٤٧١ (و س ق)؛ دوزي، **تكملة المعاجم**، ج١١، ص١٤٠.

(٦) صحتها: يشي.

نازلـةٌ لخيانةٍ[1] ونهبٍ واحتكار أمـوال [**٢٣/ ب**] بيت المال، وغير ذلك من قحّة النصارى وتطاولهم في ارتكاب الكبائر من التعرّض للمسـلمات، أو شـرب خمرٍ في شـهر رمضان المعظّم وما يُناسب ذلك، اسـتعان بالأمراء على خلاصه بطريق كُتّابهـم بأنواع مختلفـة، منها إن كان من مسـتوفيين [كذا][2] الدولـة فيُطمع ذلك الكاتب الأمير الذي يطلب شفاعته للمستوفي[3] بوضع الحقوق السلطانيّة الواجبة على إقطاعه، أو يُطمعه بمشـترى بلاد من المـُقطَعِيْـنَ، وأنَّه يلزم نُظّار تلك البلاد بمسـاعدته في العمارة والتَّقاوِي[4]، وإن كانت معصرة فبالأخشاب من الحِرَاج[5] السلطاني، والتمشية في الزريعة، وتوفير الحقوق في الباب والأعمال؛ وإن لم يكَن الـكل فيكـون الغالب. ومنهم مـن يبذل الذهـب والخيل والقمـاش وغير ذلك، فيسـعى ذلك الأمير بنفسه وخوشداشـيّته إلى المـُتحدّث للسلطان إذا عجز ذلك الكلب عن إصلاحه ويُحلل أمره، ويستمرّ بذلك الملعون فيخون مطمئنًا [**٢٤/ أ**] بمعينيه، ويزداد نهبًا وخطفًا وسرقةً لاعتماده على من يحميه بالرّشا والبراطيل.

---

(١) في (ر): «بحياته».

(٢) صحتها: مستوفيي.

(٣) في (ر): «شفاعة لهمستوفي».

(٤) التقاوي: ما يعزل من الحبوب لغرض البذر. راجع: الزبيدي، **تاج العروس**، ج٣٩، ص٣٦٩.

(٥) الحِرَاج: ج (محاريج)، وقيل: (حَرَجَة)، تكون من السَّمر والطَّلح والعَوسَج والسَّلَم والسِّدر. راجع: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص٢٣٥ (حرج). والحراج السلطانية: غابات مخصصة لأشجار السنط، وظلت مصدرًا للأخشاب اللازمة لبناء السفن والقلاع والسواقي والطواحين. راجع: ربيع، حسنين، **النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين** (القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٤م)، ص٤٤.

وأُعرِضُ عن أشياء[١] لو شئتُ قلتها

ولـو أن لـي قوّةً أو آوي إلى ركنٍ شـديدٍ لأذكـرنَّ تفاصيل أحـوال جماعةٍ من كُتّابِ النصارى، ومن أظهر الإسلام منهم ظاهرًا خوفًا من قتل وعقوبةٍ بأسمائهم، وأشرح سيرة كل مستولٍ بمكره منهم ومُتعدٍّ بشرِّه من مُفسدٍ مُلحدٍ شرّيرٍ حُميِّرٍ[٢] نَغْلٍ نَذلٍ، وأُوْضِحُ حال كل مُظهرٍ لإسلامهِ مكيدةً منه، وأذكر حاله عنه، من مُترفِّعٍ بهذَيانه مُخَطٍ لكلّ عالمٍ من المسـلمين ببُهتانه، تترادف عليه الفِلَع كوقع السـهام، وهـو في الخيانـة والنهب إلى قُـدّام ومُضاعفة إقدام، وقد اسـتتر بظهور إسـلامه وجعله سُـلّمًا لبلوغ مرامه، أبلس من إبليس إكسير الكذب [٢٤/ ب] والتدليس، ويحلف بدين الإسلام كاذبًا على أمرٍ ما كان، ويصوغ ما لم يكن بالزور والبهتان، وأنـه يكون أنجس ما كان نصرانيًا وأكثر خيانة وأقلّ حياءً وأمانةً وأشـدّ قحةً، فإنّه مجبـولٌ على المخازي والفجـور، وقد تخلّص ظاهرًا من رق النصرانيّة وذُل أداء الجزية، وقهر دخوله في الإهانةِ، فيُظهر كلمتي الإسلام لحفظ ماله ونفسه، ويزيد إقدامه على الخيانة والنهب، ويكون في الظاهر مسلمًا، وإذا دخل بيته وجد زوجته وأولاده وبناته وأقاربه وأقارب أهله نصارى، فيكون معهم نصرانيًا على الحقيقة، ويصوم لصومهم ويُفطر لفطرهم. ولو اعتبر مُعتبرٌ لوجد عمر أحد النصارى دون الخمسـة وعشـرين سنة وخِدَمُه ما تكون خمس سـنين، ومعلومه[٣] ما يكون فيها مائتي دينار في تيك المدّة، فتجد أملاكه وظاهر حاله ما ينيف عن آلافٍ مؤلّفةٍ من الدنانير، خارجًا عن الزراكـش والمصاغ والجواهر والعبيد والمماليك والخيول [٢٥/ أ] المُسـوّمة والأغنام والجواميس والمتاجـر برًّا وبحرًا. ويعتبر حال أكابر المسـلمين وأمنائهم ومن خدم الملوك والسـلاطين من خمسـين سـنة من ذوي

---

(١) في (ر): «أشيئا».

(٢) في (ر): «خمير».

(٣) معلومه: أي مرتبه الشهري الثابت. راجع: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١١، ص٤٢١.

المناصب والجامكيّات المُتميّزة، فإنّهم يؤدّون الأمانة في جامكيّاتهم وإنفاقها، كلّ منهم في كلَفِ وظيفته في باب سلطانه وتجمّله بالخيل والغلمان وحُسن البَزَّة، وإن وَرِثَ شيئًا أذهبه وأمسى مديونًا [(١] فقيرًا [١)] لعزَّة نفسه وأمانته.

ولّما تملّك التتار المَخذَّلون

بلاد الشام المحروسة، توجّه العَلَمُ[٢] أبو الفضائل ابن أخت المكين ابن العميد[٣]، المعروف بكاتب الجيش بدمشق إلى هولاكو ملك التتار، واستصحب معه من خاله المكين المذكور، ومن متموّلين [كذا][٤] النصارى بدمشق أموالاً وتَقَادِم[٥] وتُحفًا. وساعده المُختصّ صاحب إربل[٦]، واستنجز فرمانًا[٧] من هولاكو يتضمّن الأمر لأهل الشرق وجزيرة [ابن][٨] عمر [**٢٥/ ب**] والشام جميعه أن تُظهر كل طائفةٍ من العالم دينها، من النصارى واليهود والمجوس والشمسيّة

---

(١) سقطت من (ر).

(٢) في (ر): «العالم».

(٣) جرجيس، وقيل عبدالله بن أبي الياسر بن أبي المكارم المكين، المعروف بابن العميد، توفي ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م. له كتاب التاريخ المعروف بـ (**المجموع المبارك**). انظر ترجمته في: الصقاعي، **تالي**، ص١١٠؛ الصفدي، **الوافي**، ج١٧، ص٦٦٦؛ البغدادي، إسماعيل، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** (إستانبول: وكالة المعارف، ١٩٥١م)، ج١، ص٢٥٠.

(٤) صحتها: متمولي.

(٥) التَقْدِمَة: ج (تَقَادِم)، الهدايا. راجع: دوزي، **تكملة المعاجم**، ج٨، ص٢٠٢.

(٦) في (ر): «اربيل».

(٧) الفَرْمَان: لفظ فارسي. وهو ما يصدره السلطان من الكتب لموظفي الدولة من أوامر. راجع: شير، ادي، **معجم الألفاظ**، ص١١٩.

(٨) في الأصل: «ابني عمر».

وعُبّاد الأصنام، ولا يُنكر أحد من المسلمين على طائفةٍ من الطوائف، ولا يتعرّض له بلسانٍ أو يدٍ، ومن فعل ذلك يموت. ثم تحيّل ذلك الملعون أن أرغب هولاكو بقوله: إنّ المدارس والخوانق والمساجد والزّوايا يتناولها المسلمون بالتَّميم[(١)] وشهادة بعضهم لبعضٍ، ولا يقومون[(٢)] عنها بشيء من حقوق الملوك[(٣)] لكون القاضي منهم والشهود منهم. وقرّر أن يُؤخذ لهولاكو الثُّلُثُ من جميع الأوقاف الدينيّة، وكان قصد الملعون بذلك تبطيل شعائر الإسلام بإضعاف الفقهاء وإهانة القضاة، ودَرْسِ الشرع الشريف. وحَضَرَ بفرمانٍ على يده يأمر بإظهار الدين، وأخذ ثلث أموال الأوقاف، ونزل صَيدَنَايَا[(٤)]، وسَيَّرَ إلى النصارى بدمشق يُعلمهم بحضوره بالفَرَمَان من هولاكو، ونُصرتهم على الإسلام، ويقول لهم: تتلقّوني بالصُلبان على العكاكيز والأناجيل في [٢٦/ أ] أثواب الديباج والزَّربَفت[(٥)] والأطلس[(٦)] والمباخر بالعود مع الشمامسة[(٧)] والقسوس بغفافيرهم[(٨)] والمطارنة

(١) كذا وردت، ولعلها التتميم.

(٢) في (ر): «يقومان».

(٣) في (ر): «الملك».

(٤) صَيْدَنَايَا: بلد من أعمال دمشق. راجع: الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص٤٣٨.

(٥) الزَّرْبَفْت: فارسي، القماش المنسوج بخيوط الذهب. راجع: حلاق، حسان وصباغ، عباس، **المعجم الجامع في االمصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٩م)، ص١٠٦.

(٦) في (ر): «والأطهس». والأَطْلَسُ: هو الثوب الذي في لونه غُبْرَةٌ إلى السواد، وقد يُطلق على الأسود الخالص. راجع: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٦، ص١٢٤ (طلس)؛ الزبيدي، **تاج العروس**، ج١٦، ص٢٠١.

(٧) في (ر): «الشماسية».

(٨) الغُفَّار: كساء يُلبس في الكنائس. راجع: دوزي، **تكملة المعاجم**، ج٧، ص٤١٧. وقد يُطلق على مثل القلنسوة التي تغطي الرأس، وهي ما يلبسه القساوسة تحت عمائمهم

بحُلاهـم، ومعهـم الخمـر مُجهـرًا. وكان في العشـر الأوسـط من شـهر رمضان المُعظّم سـنة ثمان وخمسـين وسـتمائة. والخمر في أطباق الفضّـة والذّهب وفي القناني المُذَهَبَةِ والأقداح. فخرجوا إليه زرافاتٍ ووحدانًا، ودخلوا مدينة دمشـق نهـارًا بالطّبـول والبوقات والصّنـوج[1] والمباخـر الفضّة والمُطَعَّمَـة، والإعلان بأصواتٍ مُرتفعةٍ من ذلك العالم الكثير منهم المسـيح عيسـى بن مريم والصليب المُعظّم. وكل مسـجدٍ مرّوا به، أو مدرسـةٍ وقفوا عنده [كذا] ورشّوا الخمر على أبوابه من فضلات الأقداح التي شـربوا فيها الخمر، وضجّوا بالدعاء بخلود دولة هولاكـو، «الذي أمـر بنصرنا، وإظهار ديننا الحقّ على أديـان الكذّابين». ولم يبق ذلـك اليوم من عوامّ النصـارى وزُطّهـم[2] وأكابرهم ومتموليهـم[3] إلاّ من لبس أفخر لباس، وتبهرج نسوانهم بالحُلي والعقود. [٢٦/ ب] وجرى على المسلمين في ذلك اليوم، وهو من شـهر رمضان المُعظّـم، ومُجاهرتهم الله تعالى بالكفر من الذلّة وانكسـار القلوب، وأجهشـوا بالبكاء وجريان الدموع الحارّة، وابتهلوا إلى الله عـزّ وجلّ بكشـف تيـك الغُمّة عنهـم. وفي ثاني يـوم دخول [أبـو][4] الفضائل

وقلانسهم. راجع: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٥، ص٢٦ (غفر). إلا أن دوزي يستبعد ذلك، ويرى أنها كساء يلبسه رجال الدين النصارى. راجع: دوزي، **تكملة المعاجم**، ج٧، ص٩ (طاشر).

(١) الصَّنْجُ: لفظ مُعَرَّب. وهو ما يُتَّخَذ من صُفْرٍ يُضرب أحدهما بالآخر. قال الأعشى:

والنَّايَ نَرْمٍ وبَرْبَطٍ ذي بُحَّةٍ ... والصَّنْجُ يبكي شَجْوَه أن يُوضَعَا

راجع: الجواليقي، موهوب بن أحمد، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق: ف. عبدالرحيم (دمشق: دار القلم، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م)، ص٤٢٤.

(٢) الزُّط: في المعاجم: «جيل أسود من السند»، ابن منظور، **لسان العرب**، ج٧، ص٣٠٨ (زطط)؛ الزبيدي، **تاج العروس**، ج١٩، ص٣٢٢ (ز ط ط). وهو هنا بمعنى (الغجر) أو (النَّوَر). راجع: دوزي، **تكملة المعاجم**، ج٥، ص٣٢١ (زط).

(٣) في (ر): «ومتمولهم».

(٤) في الأصل: «بو الفضائل». وفي (ر): «أبي الفضائل».

الملعون، قُرئ الفرمان في الميدان بظاهر دمشق[1]. وفي ذلك النهار حضر إليّ شخصان، أحدهما يُعرف بالعزّ ابن مَسينَا الواسطي، وهو رجلٌ مشهور بفضيلةٍ وكتابةٍ بالذَّهَب. والثاني القاضي مُبَشِّر بن القَسْطَلاني، معروفٌ بأبواب الملوك والوزراء. وذكرا لي أنّ النصارى أحضروا كتابًا تصنيف المؤتمن بن العسَّال، المستوفي بدمشق أيام الملك الناصر[2]، وسمّاه (**السيف المُرهف في الردّ على المُصحف**)، ونودي عليه جهارًا بجسر اللبادين بمدينة دمشق، وهو عند الشمس الجَزَرِيّ الكتبي المعروف بالفَاشُوشَةِ. وأنهما تصفّحا الكتاب المذكور فتعلّق على خاطرهما منه أنّه خرّج منه ذلك الملعون [٢٧/ أ] أنَّ: «بسم الله الرحمن الرحيم يُستخرج منها المسيح ابن الله»، وجهل ذلك الملعون أنَّ كل حرفٍ أو اسمٍ أو فعل يتقلّب غير صيغته من حرفين فصاعدًا. وقال: «إنَّه تضمَّن الكتاب العزيز: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٥٩] الآية، وكذلك مريم أخت هارون وابنة عمران، وأنَّ اسم عيسى عند اليهود (ايشوع) ومريم أمّ يشوع كانت بنت يهودي، واسم أمّها حَنّه، ولم يكن لعيسى اسم عندهم ولا يُعْلَم». وقال ذلك الملعون: «أترى الذي أنزل القرآن ما كان يعلم أنَّ بين مريم وموسى وهارون آلافًا من السنين؟». وأنكر أمر الخضر عليه السلام وقال: «ليس له عندنا ذكرة، وإنما النصارى

---

(١) عن هذه الأحداث انظر: اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج١، ص٣٦٢؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٤٧٦؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية** (مصر: مطبعة السعادة، ١٣٥١ه)، ج١٣، ص٢١٩؛ المقريزي، **السلوك، ج١**، ق٢، ص٤٢٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٧، ص٨٠ وما بعدها.

(٢) الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب، صاحب دمشق وحلب (٦٣٤-٦٥٨ هـ/ ١٢٣٧-١٢٦٠م). خرج من دمشق لما قرب منها جيش هولاكو، ثم قُبض عليه في الكَرَك وأُرسل إلى هولاكو وهو في طريقه راجعًا إلى بلاده. فلما بلغه هزيمة جيشه في عين جالوت، أمر بقتل الناصر سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م. للمزيد راجع: اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج١، ص٤٦١ فما بعدها؛ الذهبي، **سير**، ج٢٣، ص٢٠٤؛ الكتبي، **فوات الوفيات**، ج٤، ص٣٦١.

يقولـون إنَّ اسـمه: القدّيس أمير جرجس، وكان بعد المسـيح بزمـان». وأنكر ما سـواه لعنه الله. وأنكر قصّة سـليمان عليه السلام وبلقيس وجميع ما نُسـب إليه. وأنكر أهل الكهف، وأنَّه تجاسـر وقال: «هذا من سُـخْفِ المـُحَدِّثيـن». وكنت في ذلك الوقت في خدمة [٢٧/ ب] السلطان الملك الأشرف مظفّر الدين موسى صاحب حمص(١)، تغمّده الله بالرحمة والرضوان. فتوجّهت بنفسـي إلى جسـر اللَّبَادِين، وأمسـكت الشـمس الكُتبي الجزري وطلبته بالكتاب المذكـور، فحلف أنَّه ودَّاه للمؤتمن الملعون، وأنَّه قطّعه بحضوره وقطّع مُسَـوَّداته. فحضرت إلى السـلطان الملـك الأشـرف، رحمه الله، وسَـيَّرت من جهتـي من أثق (٢ به٢) مـن غلماني من أَحضَرَهُ، وعرَّفت السلطان الواقعة فقال لي: اطلب الكتاب وأحضره، وأنا أضرب رقبة المؤتمن. فطلبت الكتاب من الملعون فأنكره وقال: لم يكن بخطّي وقَطَّعتُه. ثم أخذته إلى داري، وضَيَّقتُ عليه وشـدَّدتُ وهـدَّدتُ؛ فقام جماعةٌ من نصارى دمشق، منهم المكين ابن المعتمد، والرشيد المعروف بكاتب التفليسي، وجماعة مـن أكابر النصـارى ومتموّليهم، وخرجوا إلى البسـتان الظاهري إلى السِـبَّان(٣)، شـحنة(٤) التتار، ويُقال إنّه ابن خالة هولاكو، وكان مُتسـلّطًا سفّاكًا كافرًا. وقدّموا لـه أموالاً جمّة وقالـوا: إنَّ فَرْمَانَ ابلخـان(٥) حضّر بأن يُظهر كل [٢٨/ أ] إنسـان

---

(١) سبقت ترجمته في المقدمة.

(٢) سقطت من (ر).

(٣) يرد اسمه في المصادر هكذا (ايلبان) أو (إيل سبان) أو (إيسبان)، وهو الذي نصّبه هولاكو على حامية دمشق. قُتل في عين جالوت وأخذت رأسه إلى مصر. انظر: اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج١، ص٣٥٧، ٣٦٢؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج١٤، ص٦٨٢؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٣، ص٢١٩.

(٤) الشِّحْنَة: مفردها (شَّحاني)، والمنصب (الشِّحْنكِيَّة)، وهو رئيس الشرطة بالبلد والموكل بالأمن فيها من قبل السلطان. راجع: دوزي، **تكملة المعاجم**، ج٦، ص٢٧٠.

(٥) هكذا ورد في الأصل بالباء الموحدة، وصحته (ايلخان)، وهو لقب اتخذه هولاكو، ثم

دينه ومذهبه، ولا يتعرّض أهلُ مِلَّة لمِلَّةٍ. وإنَّ كاتب السلطان الملك الأشرف[١] أَمْسَكَ مُصنِّفَ كتابٍ في ديننا وهو يقصدُ قتله. فسيَّر السِبَّان إلى القاضي شمس الدين القمي[٢]، النائب عن التتار بدمشق، وهو بدار السعادة يقول له[٣]: يجتمع [كذا] بالملك الأشرف وتقول له: إنَّ هذا البتكجي[٤] الذي لك خالف فرمان ابلخان، وهذا يموت. فطلبني القمي من مخدومي، وذكر الصورة وقال لي: هؤلاء كفرة فجرة، ولا فرق بين المسلم والنصراني، فلا تتعرّض لهذا النصراني تُؤذى أنت ويَنْضَرّ مخدومك، وتلبسوا عند هولاكو أنكم خالفتم اليَسَق[٥]، ودين الإسلام له من يحتمي له غيركم. وهذه واقعةٌ مشهورةٌ يعرفها أكابر دمشق وعدولها وحُكّامها. فقدّر الله تعالى في أقرب مدّة أن كسر السلطان الملك المظفّر

نسله من بعده.

(١) يعنون مؤلف كتابنا هذا.

(٢) قال اليونيني إنه بعد هزيمة التتار في عين جالوت قتلت العامة من مالأ التتار في دمشق ومنهم: «محمد بن يوسف بن محمد الكَنجي ... وكان المذكور من أهل العلم لكنه كان فيه شر وميل إلى مذهب الشيعة وخالطه الشمس القمي الذي كان حضر إلى دمشق من جهة هولاكو ودخل معه في أخذ أموال الغُيّاب عن دمشق فقتل». انظر: **ذيل مرآة الزمان**، ج١، ص٣٦١-٣٦٢.

(٣) في (ر): «يقول انه».

(٤) بَتكْجِي: أي الكاتب، لفظ مغولي مركب: (بتك) بمعنى الكتابة، و (جي) علامة النسبة. راجع: حلاق، **المعجم**، ص٣٧.

(٥) اليَسَق: القانون والأوامر السلطانية عند التتار. وأصلها (يَاسَة)، وهي لفظ تركي معناه (الترتيب). فهو قانون الدولة الذي وضعه جنكيز خان. وقد ورد فيه ما يُناسب ما ذكره المؤلف هنا، من نقل المقريزي: «تعظيم جميع المِلل من غير تعصُّب لمِلَّة على أخرى». للاستزادة حول (الياسة) كما صورتها المصادر العربية، راجع: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٤، ص٣١٠؛ المقريزي، **المواعظ**، ج٢، ص٢٢٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٦، ص٢٦٨؛ الزبيدي، **تاج العروس**، ج٢٧، ص٢٩.

سيف الدين قطز التتار الملاعين، وأمسك المسلمون ذلك الملعون فَضُّول ابن أخت المكين بن العميد، وسُلِّمَ للأمير شرف الدين قيران الفخري، أستاذ دار السلطان الملك المظفّر رحمه الله، عاقبه [٢٨/ ب] وطلب منه أموالاً، فعمل كُتّاب النصارى وتحيّلوا في إطلاق ذلك الملعون وهرّبوه إلى الموصل، فاتّفق مع الرشيد التفليسي، وعملوا بالمسلمين من المصائب ما لا يُمكن ذكره، وكانوا سبب قتل أهل الموصل بالسّيف صبراً.

ثم إنّه في أيام السلطان

الملك الظاهر، رحمه الله تعالى، عرَّفه ناصحو المسلمين من بلاد التتار، أنّ المكِيْنَ بن العميد، كاتب الجيش، كاتَبَ هولاكو بعدّة جيش مصر حَلَقَةً وأمراء، فأمسكه الملك الظاهر وأراد قتله، فأُوقف حاله ممن عمل عليهم النصارى من الأمراء، فاعتقله إحدى عشرة سنة وكسورًا، ثم تحيّلوا في خروجه بالدنانير. وينبغي لهذه الواقعة أن يُستباح (١ بها١) أموال النصارى وحريمهم وأرواحهم، ولا يُترك على وجه الأرض نصراني ولا يهودي، فإنَّ سعيد الدولة صاحب ديوان بغداد والعراق[٢] عَمِلَ على إهانة المسلمين، وإعلاء كلمة [٢٩/ أ] اليهود. ثم عَمِلَ على أرغون[٣]، ودَسَّ عليه من سقاه بعد اختزان أموال الإسلام، ورفع منار اليهود، وأهان الإسلام. وإنَّ كُلاً من هاتين (٤ الملتين٤) الملعونتين منتظرون فرصة تلوح والعياذ بالله ويُعاملون الإسلام بطلب الثأر، وإذا ظهر تأثير ما ألّفته أظهرت للدولة الشريفة من تحصيل أموال هؤلاء الكلاب التي نهبوها من بيت مال المسلمين، يَتَّجِرُونَ فيها ويُشاركون التجار برًّا وبحرًا، وشامًا ومصرًا؛ وظهر لمولانا السلطان خلّد الله مُلكه جسارة هؤلاء الملاعين على مشترى أسرى

---

(١) سقطت من (ر).

(٢) سعد الدولة -وليس سعيد الدولة- بن الصَّيْفِي بن هبة الله ابن الماشعيري اليهودي، تولّى سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م، وكان إخوته: فخر الدولة، وأمين الدولة، ومهذب الدولة، كُلّهم من ذوي السلطان، فنُكبوا ونُكب يهود العراق معهم، بعد اتهامه بقتل أرغون. راجع: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج١٥، ص٦٥١؛ الصفدي، **الوافي**، ج٨، ص٣٥٠؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٣، ص٣٢٤؛ مجهول، **كتاب الحوادث**، تحقيق: بشار عواد معروف وعماد عبدالسلام رؤوف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م)، ص٥٠١-٥٠٣؛ ابن تغري بردي، **المنهل**، ج٢، ص٣١٠.

(٣) أرغون بن أبغا بن هولاكو، صاحب العراق وخراسان، مات سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م. واتُهم وزيره سعد الدولة بوضع السُمّ له، فقتله المغول. راجع المصادر في الهامش السابق.

(٤) سقطت من (ر).

طرابلس من أولاد مُلُولٍ[1]، ونساء متمولين [كذا][2]، وأعيان النصارى. وما عُمِلَ على المسلمين في ممالكهم من التتميم والأذى بما تصل قُدرتهم إليه كما قيل:[3]

وضَعِيْفَةٍ فإذا أَصَابَتْ قُدْرَةً   قَتَلَتْ وذلكَ عَادَةُ الضُّعَفَاءِ[3]

[٢٩/ ب] وفي أيام مولانا السلطان الملك الظاهر رحمه الله تعالى، عندما فتح قَيْسَارِيّة[4] وأَرْسُوف[5] جهّز أهل عكة إلى نصارى القاهرة من تحيَّل باتّفاقهم في إحراق البَاطِلِيَّة[6]،

---

(١) في (ر): «ملوك». وأولاد الملول، أي أهل ملَّتهم. والمراد هنا أنهم يستخدمون أموال الدولة المخصصة لفداء الأسرى، ويخلّصون بها أهل ملَّتهم فقط، دون المسلمين.

(٢) صحتها: متمولي.

(٣) راجع: الخطيب التبريزي، يحيى بن علي، **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي**، تحقيق: محمد عبده عزام (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥١م)، ج١، ص٣٠. وقد ورد البيت فيه:

وضَعِيْفَةٌ فإذا أصابَت فُرصَةً   قَتَلَتْ كذلك قُدْرَةُ الضُّعَفَاءِ.

(٤) قَيْسَارِيّة: بلد على ساحل بحر الشام، كانت من أعمال فلسطين. فتحها الملك الظاهر سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م. راجع: الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص٤٢١؛ ابن شداد، محمد بن علي، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق: سامي الدهان (دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢م)، ص٢٥٠-٢٥٣.

(٥) أَرْسُوف: أيضًا مدينة على ساحل الشام، بين قيسارية ويافا. راجع: الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص١٥١؛ ابن شداد، **الأعلاق**، ص٢٥٣.

(٦) البَاطِلِيَّة: حارة من حارات القاهرة، سميَّت بذلك كما ذكر ابن عبدالظاهر عندما قسّم المُعز الفاطمي العطاء في الناس، فجاء بعد نفاذه طائفة تطلبه، فقيل لهم إنه نفذ، فقالوا: «رُحنا نحن [في] الباطل، فسُمُّوا الباطلية وعرفت هذه الحارة بهم». وموضع هذه الحارة اليوم، كما يذكر أيمن فؤاد سيد، حارة الباطنية، شرقي الجامع الأزهر. راجع: ابن عبدالظاهر، عبدالله، **الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة**، تحقيق: أيمن فؤاد سيد (القاهرة: الدار العربية للكتاب، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م)، ص٤٢.

وإحراق رَبع فرح[1]، ووقف الحرم الشريف بمصر[2]، وإحراق عِدَّة مواضع لاشتغال سِرِّ السلطان الملك الظاهر، وأذى المسلمين. وسرى الحريق إلى جرون[3] الريف في عدَّة مواضع، وكَتَبَ المتنصّحون للملك الظاهر بذلك من بلاد الفرنج، فأمسك النصارى واليهود بالقاهرة ومصر، وجَمَعَ الجميع ليحرقهم، وركب بنفسه في عِدَّةٍ من الأمراء ليقف على حريقهم بظاهر القاهرة، فبرز إليه ابن الكَازَرُوني الصيرفي وقال للسلطان: سألتك الله لا تحرقنا مع هؤلاء الكلاب النصارى أعدائكم وأعدائنا، بل احرقنا بمفردنا عنهم. فضحك السلطان والأمراء لتمسخر ابن الكَازَروني، فدخل عليه الأمراء وسألوه أن يُقرِّر عليهم أموالاً ويعفو عنهم ولا يُحَرِّقهم. فقرَّر عليهم جُملاً كثيرةً، ورتَّبَ [٣٠/ أ] لها الأمير سيف الدين بلبان المهراني يستخرج منهم المُقرَّرات في كل سنة، واستمر الحال إلى أيام الملك السعيد عَمِلَ الكتاب من النصارى في اختلاف الدول وأول دولة مولانا السلطان الملك المنصور -رحمه الله وقدّس روحه الطاهرة- بالدنانير والبراطيل، وبطل عنهم ما قُرِّر عليهم.

---

(١) ربع فرح: لم أقف عليه، ويرد عند اليونيني «ربع فرج»، ويضيف: «وكان وقفًا على أشراف المدينة النبوية صلوات الله على ساكنها وسلامه». اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج٢، ص٣٢٠.

(٢) كان ذلك الحريق في جمادى الآخرة سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م، ويذكر النويري والصفدي أنه كان موقوفًا على أشراف المدينة. انظر: اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج٢، ص٣٢٠؛ المقريزي، **المواعظ**، ج٢، ص٨؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٣٠، ص١١٤؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج١٥، ص١٢؛ الصفدي، **الوافي**، ج١٠، ص٣٢٤.

(٣) الجُرون جمع جُرْن، وهو بناء يخزن فيه المحصول، قمح أو تمر. ويسمى كذلك البَيْدَر. راجع: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٣، ص٨٧ (جرن).

وفي الأيام الظاهريّة

أيضًا تحقّق أنَّ جماعةً من النصارى والأَرْمَن والكُرْج من المجاورين بالكنيسة المـُصَلَّبَة بالقدس الشريف، هم جواسيس للتتار[١] المخذولين، وأنهم يكاتبونهم بأخبار المسلمين وعساكر مصر ومُتَجَدِّدَات الأمراء من موتٍ وإمساكٍ وحركةٍ أو سكونٍ، مما يتَّصل ذلك إليهم من زوّار قُمَامَةَ من نصارى الديار المصرية. فأمر بقتل الجواسيس ومن كان يُؤويهم، ورَسَمَ بأن تُدار تلك الكنيسة مسجدًا [٣٠/ ب].

الملك المنصور تغمّده الله برحمته

أثبت قاضي صفقةٍ من صفق[٢] المنوفية[٣] بشهود عدول أن كنيسة استجدّت بحروان، استجدّها النصارى ما بين الدولة المصرية والدولة الصلاحية. فأمر الحاكم بهدمها شرعًا بعد فتاوى أكابر الفقهاء بالقاهرة بهدمها. فعمل النصارى عند الأمير حسام الدين طرنطاي[٤] المنصوري[٥]، النائب في ذلك الوقت، ورسم

---

(١) في (ر): «جواسيس التتار».

(٢) في (ر): «صنفة من صنف». و «صفقة من صفق» بمعنى: ناحية من نواحي المنوفية. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٠، ص٢٠٠ (صفق).

(٣) المـُنُوفِيَّة: عمل من أعمال مصر، وقصبته مدينة مُنُوف. راجع: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص٤٠٥.

(٤) في (ر): «طرنطاوي».

(٥) الأمير حسام الدين طرنطاي بن عبدالله، أبو سعيد المنصوري، نائب السلطان المنصور. استمر في منصبه إلى أن سجنه السلطان الأشرف وعذّبه. ومات سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م. انظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج١٥، ص٦٣٢؛ الصفدي، **الوافي**، ج١٦، ص٤٢٩؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٣، ص٣١٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٧، ص٣٨٣. وهو غير البشمقدار الوارد في ص ٤٨.

بإحضار[١] القاضي المذكور، وضُرِبَ بالمقارع[٢] في باب القرافة. واستمرَّ خراب الكنيسة بعد ذلك كما ذكر لي الأمير ناصر الدين محمد الجهركسي[؟!]، والي مُنُوف إلى آخر سنة تسع وثمانين وستمائة، وأن المحاضر الثابتة عند ناصر الدين ابن الجهركسي المذكور بذلك. ثم عُمِّرَت في سنة تسعين بمساعدة عز الدين القشاش، والي الغربيَّة، لأجل فلانٍ وابن فلانٍ كاتبِ فلان. وتحيَّل العفيف موسى الشوبكي التاجر، وروّح لتردده إلى عكّة صادرًا وواردًا، [٣١/ أ] إلى أن نقل إلى عكّة الجُمل الكثيرة من غلال السلطان رحمه الله، وغلال بعض الأمراء من الديار المصرية في البحر المالح. وكان ذلك إعانةً منه للفرنج على المسلمين. ولو أنّي آوي إلى رُكنٍ شديدٍ لأذكرنَّ من هو الذي أعان المذكور لأمورٍ ظاهرةٍ مُحَقَّقةٍ.

ويقول العبد الفقير إلى الله تعالى غازي بن الواسطي مؤلّف هذا الكتاب، رحمه الله: إنَّه لا يحل لأحدٍ من سلاطين الإسلام وملوكهم ونوّابهم ووزرائهم الاستمرار على بقاء قمامة التي في القدس الشريف، لما يُعتمد فيها من إظهار غرور النصارى، أنَّ النور ينزل على القبر الذي تزعم النصارى أنَّ المسيح عليه السلام دُفِنَ فيه، لأجل الرَّسم الذي يُؤخذ منهم عند الزيارة، فإنَّ الجاهل من النصارى يقول له الفَطر تَرك[٣] الملعون: إنَّ هذا النور يُعاينه شهود المسلمين ويُباشرونه بأنفسهم. فيزداد ضلالهم ويفوت عقولهم بأنَّ النور لا يُحرِق، ويستمر إقبالهم على دين آبائهم الكُفّار، سيّما ومن يُولد ويُعاينه عند كِبَره في كل [٣١/ ب] سنة، فيحمله[٤] ظهور هذا النور على الطغيان، ويجعله دليلاً لتمسُّكه بالمذهب والدين الملعون، ويكون نوّاب سلطان ذلك الزمان مُعينيهم على الاستمرار بالمُحال

---

(١) في (ر): «بإحضاري».

(٢) في (ر): «بالمقاري».

(٣) لعله البترك، كما تقدَّم رسمه صحيحًا من المؤلف. وهو منصب كنسي.

(٤) في (ر): «فيحمل».

والتمـادي على الضلال والكُفـر والزندقة والارتباط على التدليـس. فإذا خَرِبَت هـذه الكنيسـة، واندرس أمـر القبر والنور، وشـاع أمـره الصحيـح المُحقّق، أنَّ مشـارف[1] القدس الشـريف يسـتصحب معه القدّاحة والصوفـان والكبريت[2]، ويقدح بحضور البترك الملعون، ويُشـعل فتيلـة القنديل الملآن بالزيت، فإذا فرغ الزيت انطفئ القنديل المُسـمى بالنور، تبيّن لهؤلائك العديمين [كذا][3] العقول أنَّـه من أبـواب المُحال [4]والـزور[4] والضـلال، وكان الموجـب لانحلالهم عن دينهم، وربما أسـلم الأكثر ممن يظهر له[5] زيـف تتميم كبيرهم الملعون كالبترك والأُسـقُف والمطرَّان، وتبرد هممهم وتنحلّ عقائدهم بعـدم هذا النور، كما فُعِلَ في زمـن معاويـة بـن أبي سـفيان ﵁، لمّا سـيّر بَعْثَـهُ إلى قبرص، ودخـل العرب المسـلمون [٣٢/ أ] إلى جزيرة قبرص وملكوها، ووجـدوا فيها صليبًا من حديدٍ واقفًا في الهواء بين صاريين عاليين، فتعجّب العرب منه ومن وقوفه بلا آلة. وكان في العـرب من فيه بصيـرةٌ، فتقدّم وقلع الصاري الواحد فوقـع الصليب فوُجِدَ فيه حجـر مغناطيس، من أكبر مـا يُمكن طولاً وعرضًا؛ فرمى الصـاري الثاني فوجده كذلك، وأنَّ الحجرين المغناطيـس يجذبان بالقوّة ذلك الصليب بقوّةٍ مُعتدلةٍ من كل جهةٍ بالخاصيّة فلا يقع. فلمّا وقع الصاري، وقع الصليب وبان زيفهم، وظهر ما دبّره الملاعين أكابر النصارى، وعلموا أنَّه هذيانٌ مُفتعل.

---

(١) المشارف: الموظف المسؤول عن تفاصيل حسابات الجهة الضريبية التي تقع تحت دائرة عمله، وعليه جمع المتحصلات المالية منها. راجع: ابن مماتي، **قوانين**، ص٣٠٢؛ والنويري، **نهاية الأرب**، ص٨: ٣٠٤.

(٢) في (ر): «الكبرية».

(٣) صحتها: العديمي.

(٤) سقطت من (ر).

(٥) في (ر): «لهم».

وأرجو من الله تعالى، الذي أعطى هذا مولانا السلطان ابن السلطان الملك الأشرف صلاح الدين، من النصر والفتوحات الميسّرة، وخذلان الكفرة ما لا أعطى لسلطانٍ قبله؛ وجمع له بين حُسن الفعالِ والشجاعةِ والكرمِ والإقدامِ وحُسْنِ الصورةِ، أن يُسطِّر في صحائف حسنات أيام سلطنته الشريفة، محو آثار [٣٢/ ب] يشهد به الديوان المعمور، وما أشبه ذلك من هذا الهذيان الذي اصطلح عليه الأقباط الجُهّال بمصر والشام، كما قال بعض الفضلاء في قول الحسن بن هانئ المعرّي [كذا؟!][١]:

أَصَاخَت فَقَالَت وَقْعُ أَجْرَدَ شَيْظَمِ[٢]

وإن كانت هذه الألفاظُ من اللغة الغريبة مقولة منقولة، فهو يُشبه رُقَى العقارب. فإنّه غاية الأمر فيما قاله أنها تسمَّعت مشي حافر فرس. فكذلك اصطلاح الأقباط على تيك الهذيانات والخزعبلات الغريبة الألفاظ، فإذا شُرِحَت كانت كأقل مُقَدِّمَةِ نَحْوٍ، يحفظها أصغر أولاد المسلمين في المكاتيب. وإذا سافر الحاذق من الذين أتقنوا ذلك الاصطلاح إلى العراق أو الروم أو العجم، لم ينتفع بشيء من ذلك، فإنَّ كل إقليم له اصطلاح بعبارة أهله والنسب إليهم، وبغيرِ لَبسٍ. إنَّ الممالك الحلبية والشرقية كان ترتيبهم في الحساب والاصطلاح في دواوينهم خلاف الأوضاع المصرية عن قُرْبِ [٣٣/ أ] عهدٍ، فلمّا تملّك الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز المملكة الدمشقية واستخدم بعض الأقباط في البلاد الحلبية والشرقية نقلوا الأوضاع إلى الاصطلاح المصري لعجزهم عن الحساب الشامي الذي يشهد أصله لصَرفهِ وصَرفُه لأصله، فلا يبقى لخائنٍ فيه حيلة أن

---

(١) ولعلها «المعزّيّ» في الأصل الذي كتبه المؤلف، نسبة إلى المعز الفاطمي، وغلط فيها الناسخ.

(٢) في الأصل: شيضم. وهو صدر بيت لابن هانئ الأندلسي من قصيدة في مدح المعز لدين الله الفاطمي. راجع: علي، زاهد، **تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي المغربي** (مصر: مطبعة المعارف، ١٣٥٢ هـ)، ص٦٥٧.

يغمس فيه حَبَّة إلا وظهرت. ثم إنَّه كان في سُنن ملوك الشام وسلاطينها[١] إلى آخر الأيام الناصرية أن لا يتّفق خلو الديوان المعروف بالاستيفاء من مسلمين أكابر عدول، جماعة كبيرة من أرباب البيوت المشهورين بالأمانة والصناعة، بحيث لا ينفرد يهوديٌ ولا نصرانيٌ في شيءٍ من ممالك الشام وغيره في كلمةٍ واحدةٍ، ولا يتحدّث ولا يكتب إلا بعد تحرير المسلم في كل قضيّة تقع، ثم يُسطّرها اليهوديُّ أو النصرانيُّ[٢]، ويكتب ذلك العدل عليها بالصحّة. ففي أيسر مُدَّةٍ لطيفةٍ يصرف المسلمون هممهم لأشغال أولادهم في كشف تلفيق هؤلاء السفلة الجُهّال، ويُتقنونه إتقانًا جيدًا [٣٣/ ب] بذكائهم، ويتفقّهون في إظهار المصالح كما تفقّهوا في العلوم الدينية، وصنّفوا فيها آلافًا مؤلّفةً من الكتب. ويُفرِّعون وجوهًا لم يُدركها اليهود والنصارى، ويعملون في أموال بيت مال المسلمين بكتاب الله تعالى، وسنّة رسول الله ﷺ، وتنمو الأموال بالبركات والعدل، وتندرس الأغراض الفاسدة وأبواب المظالم، وتعفَّى معالمهم، وتبلى آثارهم القبيحة الفضيحة، ويكون مولانا السلطان [٣] الملك [٣] الأشرف صلاح الدنيا والدين قد عمل بسنّة رسول الله ﷺ، ويسيرُ سيرةَ الخلفاء الراشدين، والسلاطين العادلين. فإنّ مالكًا رضي الله عنه ذكر في كتاب المدوّنة الكُبرى: أنّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: لا يُتّخذ من اليهود والنصارى جزّارون[٤] ولا صيارفة، ويُقاموا من أسواقنا فقد أغنى الله تعالى المسلمين عنهم[٥]. فإذا كان هذا الأمر في البيع والشراء الذي ليس فيه منصبٌ

(١) في (ر): «وسلاطينهم».

(٢) في (ر): «والنصراني».

(٣) سقطت من (ر).

(٤) في (ر): «حزرون».

(٥) انظر: مالك، مالك بن أنس الأصبحي، **المدونة الكبرى: رواية سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبدالرحمن بن القاسم العتقي** (مصر: مطبعة السعادة، ١٣٢٣ هـ)، ج٢،

ولا صورةٌ، فكيف [٣٤/ أ] في تولية المناصب؟ فإنّ اليهود يعتقدون أنّ الرِّبَا جائز مع غير أهل ملّتهم، لاعتقادهم استباحة الأموال؛ فمن يعتقد استباحة الأموال من المسلمين كيف يجوز توليته عقلاً أو شرعًا؟ فقد قالت العقلاء: العجب من مؤمنٍ يستخدمُ كافرًا يُخالفه في آرائه، ويُضادّه في دينه واعتقاده. وقالوا أيضًا: العجب ممن يَطِّرِحُ وليًا مؤمنًا عاقلاً، ويستكفي عدوًّا جاهلاً كافرًا. وقال آخر: في المسلم أربع خصالٍ لا توجد في غيره: حُسن العفاف، وكثرة الإنصاف، والرقّة على أهل الدين، ونُصح المسلمين. وفي المشرك أربع خصال: قلّة الدين، وكثرة الخيانة، وغشّ المسلمين، وإبعاد أهل الدين.

كمل الكتاب بحمد الكريم الوهاب

الحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وصحبه وسلم.

حسبنا[1] الله ونعم الوكيل.

ص٦٧-٦٨.

(١) في (ر): «حسب».

قائمة المصادر والمراجع

١ - المصادر:

- ابن الأثير، علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، **الكامل في التاريخ**، بيروت: دار صادر، د.ت.، طبعة مصورة عن طبعة لايدن: بريل.
- الأرمني، أبو صالح، **تاريخ أبي صالح الأرمني**، أوكسفرد: المطبعة المدرسية، ١٨٩٤م.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)، **معرفة الصحابة**، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الرياض: دار الوطن، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- البشبيشي، عبدالله بن أحمد (ت ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م)، **جامع التعريب بالطريق القريب**، تحقيق: نصوحي أونال قره أرسلان، القاهرة: مركز الدراسات الشرقية- جامعة القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- البغدادي، إسماعيل بن محمد (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م)، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين في ذيل كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة**، استانبول: وكالة المعارف، ١٩٥١م.
- البيهقي ، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)، **السنن الكبرى**، حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٤-١٣٥٥ه.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي** (ج٢)، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
- ------، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٨-١٣٩٢ه/ ١٩٢٩-١٩٧٢م.

- الجواليقي، موهـوب بن أحمد (ت ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق: ف. عبدالرحيم، دمشـق: دار القلم، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- ابـن حبيب، الحسـن بـن عمـر (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، **تذكرة النبيـه في أيام المنصـور وبنيـه**، تحقيق: محمد محمد أميـن، مصر: الهيئـة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦-١٩٨٦م.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمـد عبدالموجود وعلي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- ------، **تبصيـر المنتبـه بتحريـر المشـتبه**، تحقيـق: علـي محمـد البجـاوي، القاهرة: المؤسسـة المصرية العامـة للتأليف والترجمة والنشـر، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.
- ------، **الدرر الكامنة في أعيـان المائة الثامنة**، تحقيق: عبدالوارث محمد علي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- الحمـوي، ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.
- ------، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
- الخطيـب البغـدادي، أحمـد بـن علـي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م)، **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها**، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- الخطيـب التبريزي، يحيى بن علـي (ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٩م)، **ديـوان أبي تمام**

بشـرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥١م.

- الخفاجـي، أحمد بن محمـد (ت ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م)، **شـفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل**، مصر: المطبعة الوهبية، ١٣٨٢هـ.
- الخـلال، أحمـد بن محمد (ت ٣١١هـ/ ٩٢٣م)، **أحكام أهـل الملل والردة مـن كتاب الجامـع**، تحقيـق: إبراهيم بن حمد بن سـلطان، الريـاض: مكتبة المعارف، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- ابـن خلـدون، عبدالرحمـن بـن محمـد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، **تاريخ ابن خلدون المسـمى بكتاب العبر وديوان المبتـدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربـر ومن عاصرهم من ذوي السـلطان الأكبر**، بيروت: مؤسسـة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- ابـن خلكان، أحمد بن محمـد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، د. ت.
- الذهبـي، محمـد بن أحمـد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، **تاريخ الإسـلام ووفيات المشـاهير والأعـلام**، تحقيـق: بشـار عـواد معـروف، بيـروت: دار الغـرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ------، **سـير أعـلام النبـلاء**، تحقيق: شـعيب الأرنـؤوط وآخرين، ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ------، **طبقات القراء**، تحقيق: أحمد خان، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- ابن رجب، عبدالرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م)، **الذيل على طبقات الحنابلة**، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض: مكتبة العبيكان،

١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

- الزبيدي، محمد المرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج وآخرين، الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، وزارة الإعلام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٣٨٥-١٤٢٢هـ/ ١٩٦٥-٢٠٠١م.
- ------، **ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب**، تحقيق: مديحة الشرقاوي، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٨م.
- السفاريني، محمد بن أحمد (ت ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م)، **غذاء الألباب شرح منظومة الآداب**، تحقيق: محمد عبدالعزيز الخالدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- السمعاني، عبدالكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)، **الأنساب**، ج١٠، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- الشابشتي، علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، **الديارات**، تحقيق: كوركيس عواد، دمشق: المدى، ٢٠٠٨م.
- أبو شامة، عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م)، **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: إبراهيم الزيبق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- ابن شبة، عمر بن زيد (ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٦م)، **تاريخ المدينة**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جدة: د.ن، ١٣٩٩هـ.
- ابن شداد، محمد بن علي (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق: سامي الدهان، دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

- الصفدي، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، **أعيان العصر وأعوان النصر**، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- ------، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: هلموت ريتر وآخرين، فيسبادن: فرانز شتاينر، ١٣٨١-١٤٢٩هـ/ ١٩٦٢-٢٠٠٨م.
- الصقاعي، فضل الله بن أبي الفخر (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، **تالي كتاب وفيات الأعيان**، تحقيق: جاكلين سوبلة، دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٧٤م.
- الصيرفي، علي بن داود (ت ٩٠٠هـ/ ١١٥٠م)، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، تحقيق: حسن حبشي، الجمهورية العربية المتحدة: دار الكتب، ١٩٧٠-١٩٩٤م.
- ابن عبد البر القرطبي، يوسف بن عبدالله (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البيجاوي، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- ابن عبد الظاهر، عبدالله بن عبدالظاهر (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م)، **الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة**، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة: الدار العربية للكتاب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- ابن عساكر، علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها (ج٥٦)**، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، د.م: دار الفكر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- ابن العماد، عبدالحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م)، **شذرات الذهب**

في أخبار من ذهب، تحقيق: عبدالقادر ومحمود الأرناؤوط، دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- العماد الأصفهاني، محمد بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، **خريدة القصر وجريدة العصر : قسم شعراء مصر**، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، د. ت.
- ------، **خريدة القصر وجريدة العصر: قسم شعراء بلاد الشام**، تحقيق: شكري فيصل، دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.
- العمري، أحمد بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: السفر السابع والعشرون (تاريخ الحروب الصليبية والدول المتأخرة)**، تحقيق: حمزة أحمد عباس، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- ابن العميد، جرجس بن أبي الياسر (ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)، **تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد إلى الدولة الأتابكية**، اعتناء: توم إيربيني، د.م.: ١٦٢٥م.
- أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، **المختصر في أخبار البشر**، مصر المطبعة الحسينية، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.
- الفراء، محمد بن أبي يعلى (ت ٥٢٦هـ/ ١١٣٢م)، **طبقات الحنابلة**، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض: الأمانة العامة للإحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- ابن الفوطي، عبدالرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، تحقيق: محمد الكاظم، طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٦هـ.

- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٥م)، **القاموس المحيط**، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
- ابن قدامة، عبدالله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، **المغني**، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي وعبدالفتاح محمد الحلو، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، مصر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د. ت.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، **أحكام أهل الذمة**، تحقيق: صبحي الصالح، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.
- الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، د.ت.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)، **البداية والنهاية**، مصر: مطبعة السعادة، ١٣٥١هـ.
- ------، **تفسير القرآن العظيم**، القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت.
- ابن ماكولا، علي بن هبة الله (ت ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م)، **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، نسخة مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد.
- مالك، مالك بن أنس الأصبحي، **المدونة الكبرى: رواية سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبدالرحمن بن القاسم العتقي**، مصر: مطبعة السعادة،

١٣٢٣هـ.

- مجهول، **كتاب الحوادث لمؤلف من القرن الثامن الهجري وهو الكتاب المسمى وهماً بالحوادث الجامعة والتجارب النافعة والمنسوب لابن الفوطي**، تحقيق: بشار عواد معروف وعماد عبدالسلام رؤوف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م.
- المروزي، إسحاق بن منصور (ت ٢٥١هـ/ ٨٦٥م)، **مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه**، تحقيق: سليم بن مطر البلوشي، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م.
- المزي، يوسف بن عبدالرحمن (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ه/ ١٩٩٢م.
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٥م)، **صحيح مسلم بشرح النووي**، القاهرة: المطبعة المصرية، ١٣٤٩هـ.
- المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا (ج٢،٣)**، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- ------، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وسعيد عبدالفتاح عاشور، مصر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر: دار الكتب، ١٣٧٦-١٤٠٣ه/ ١٩٥٦-١٩٧٣م.
- ------، **مسودة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- ------، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** (الخطط المقريزية)،

القاهرة: دار الطباعة المصرية، ١٢٧٠هـ.

- أبو المكارم سعد الله، **تاريخ الكنائس والأديرة في القرن ١٢ بالوجه البحري**، تحقيق: الأنبا صموئيل، د.م: د.ن، د.ت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، **مختصر تاريخ دمشق**، تحقيق: إبراهيم الزيبق، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ------، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- ابن ميسر، محمد بن علي (ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)، **المنتقى من أخبار مصر: انتقاه تقي الدين أحمد بن علي المقريزي**، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، د.ت.
- النعيمي، عبدالقادر بن محمد (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)، **الدارس في تاريخ المدارس**، تحقيق: جعفر الحسني، دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٩٤٨م.
- النويري، أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب (ج٨)**، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.
- ------، **نهاية الأرب في فنون الأدب (ج٢٩)**، تحقيق: محمد ضياء الدين الريس ومحمد مصطفى زيادة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.
- ------، **نهاية الأرب في فنون الأدب (ج٣٠)**، تحقيق: محمد عبدالهادي شعيرة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- ابن الوردي، عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)، **تاريخ ابن الوردي**، النجف: المطبعة الحيدرية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- اليماني، عبدالباقي بن عبدالمجيد (ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)، **إشارة التعيين في**

تراجم النحاة واللغويين، تحقيق: عبدالمجيد دياب، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- اليمني، عمارة بن علي (ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م)، **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية**، تحقيق: هرتويغ درنبرغ، ط٢، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، نسخة مصورة عن طبعة فرنسا: مرسو، ١٨٩٧م.
- ابن يونس المصري، عبدالرحمن بن أحمد (ت ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م)، **تاريخ ابن يونس المصري**، تحقيق: عبدالفتاح فتحي عبدالفتاح، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- اليونيني، موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، **ذيل مرآة الزمان**، حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

٢- المراجع:

- الألباني، محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة (ج٩)**، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- حلاق، حسان وصباغ، عباس، **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية**، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٩م.
- دوزي، رينهارت، **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة: محمد سليم النعيمي وآخرين، العراق: وزارة الثقافة والإعلام، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٧٨-٢٠٠١م.
- ربيع، حسنين، **النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين**، القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٤م.
- شير، ادي، **معجم الألفاظ الفارسية المعربة**، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٠م.
- علي، زاهد، **تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي المغربي**، مصر: مطبعة المعارف، ١٣٥٢هـ.
- عيسوي، عصام أحمد، **معجم ألفاظ الحضارة: دراسة في أركيولوجيا اللغة العربية من خلال الوثائق المصرية «الجزء الأول: الثياب وما يتعلق بها»**، مصر: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- مبارك، علي، **الخطط التوفيقية**، بولاق: المطبعة الأميرية، ١٣٠٥هـ.

الفهارس

فهرس المصطلحات

فهرس المواضع

فهرس الأعلام

فهرس الموضوعات

النص المحقق

الاشتراك السنوي

العدد شاملاً أجور البريد

العالم العربي (قيمة النسخة):

الأفــــــــراد	٢٠ ريـــــالاً
الــمـؤسســات	٤٠ ريـــــالاً

خارج الوطن العربي:

الأفــــــــراد	١٠ دولار أمريكي
الــمـؤسســات	٢٠ دولار أمريكي

ترسل القيمة بشك مصدق باسم: الجمعية التاريخية السعودية

أو تودع في حساب الجمعية في بنك سامبا: Iban SA٥٧٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٢٦٨٠١٧٤٦٥٨

عنوان المراسلة:	:Contact
جامعة الملك سعود	King Saud University
ص. ب ٢٤٥٦ الرياض ١١٤٥١	٢٤٥٦ :P.O. Box
المملكة العربية السعودية	١١٤٥١ Riyadh
هاتف ٤٦٧٤٩٨٩ – فاكس ٤٦٧٤٩٨٩	Kingdom of Saudi Arabia
	٤٦٧٤٩٨٩ :T&F

http://www.shs.org.sa

info@Saudihistoricalsociety.com





SAUDI HISTORICAL SOCIETY

HISTORICAL RESEARCHES

ASERIES OF REFEREED HISTORICAL & CULTURAL RESEARCHES

Ruddon Ala Ahlu Dhimmati Wa-Man Tabi ahom

(A ResponseTo Ahlu-Dh-Dhimmah AndThose Who Agree With Them

By

Shihabuddin Ghazi b-Ahmad Ibn AL-Wasiti

Edited by

Torki Fahad AL-Saud

History Department- King Saud University

Ar-Riyadh

Issue 36

August 2010. A.D/Shaban 1431. A.H



مطابع الحميضي ت. 2130130 الرياض
ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٤٧٣-٥-٣